صَوتُ الإسْلام
في
شِعْر حَافظ إبراهيم

د. جابر قميحة

دار الهداية   دار الصحوة

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديـــم :

نزل الامين جبريل على محمـد صلى الله عليـه وسلـم بالوحى فى غـار حـراء ، وسرت الدعـوة الجديدة فى الارواح والقلوب مسرى النور فى الظلمات ، وأصبح للاسلام شعراؤه كما أصبح لـه جنوده ورأياته ، ورددت السهول والنجود أشعـارا تذكر الله ، وتبجل نبيه وتتغنى بالقيم العليا ... حسان بن ثابت ... عبد الله بن رواحه ... كعب بن زهير .. ثم أحمد شوقى وأحمد محرم ـ وحافظ ابراهيم ـ وبين الجيلين أربعة عشر قرنا لم ينقطع فيها الشعر عن الاشادة بالاسلام ، وتعظيم حامل الرسالة بصفة خاصة « فقد كانت نورا نيته تتألق فوق كل دفقة نغم تألق الشفق على أمواج الغدير .. وجاء البارودى أبو الشعر الحديث ونظم عن الرسول الكثير والكثير ، ومن نتاجه هذه مطولته « كشف الغمة فى مدح سيد الامة » وكأنه يمتـد امتداد من سبقـه ، ولكن فى قوة ، وفى احساس بفنيـة عمله على نحو جديد (١) .

وتوالى الشعراء .. وتوالت الاسلاميات على مـا هـو معروف فى تاريخ الادب الحديث ، وقد ألف فى هذا المجـال عدد من الكتب لايستهان بـه . وهـا نحن أولاء نحاول أن نلقى الضوء على شاعر ملاء الدنيا وشغل الناس ، هو ورفيقه أحمد شوقى ... أقول نلقى على «اسلامياته» وهو ماأطلقنا عليه « صوت الاسلام فى شعر حافظ » .

(١) أحمد كمال زكى : محمد فى الادب المعاصر ٩٦، ٩٨

لقد كان للاسلام وما يتعلق بـه صوت قـوى فى شعـر حافظ ··· صوت سمعنا نبرته فى البيت والبيتين هنا وهناك وصوت شدنا فى قصائد كاملة منها مطولات ··· ونعني بالشعر الذى تردد فيه صوت الاسلام وتجاوبت فيه أصداؤه عند حافظ ذلك الشعر الذي دار حول المحاور الاتية :

١ ـ الشخصيات الدينية والاسلامية مثل الانبياء والرسل والخلفاء والقـادة والزعماء قديمـا وحديثا · وقـد رصدنـا «للعمرية» فصـلا مستقـلا لاهميتها وشهرتها وقيمتها الفنيـة والتاريخية ·

٢ ـ المناسبات الاسلامية كمولد النبى وهجرته ·

٣ ـ القضايا الدينية والقيم الإسلامية التى رسخها الاسلام وبنى عليها دولته وأمتـه ·

٤ ـ الاساليب والعبارات القرآنيـة والدينية ومكانهـا فى شعـر حافظ ، ومدى تأثره بهـا ·

وقد حاولنا بقدر المستطاع أن نتبين منهج حافظ موضوعيا وفنيا ـ فى معالجة هذه الموضوعات · كما عقدنا موازنه بينـه وبين صنوه شوقى فى الموضوعات التى تسمح بمثل هذه الموازنة مبينين مدى توفيق أو تفوق كل منهما فى هذا النطاق ·

وآمل الا أكون قد جانبت الصواب فيما عرضت ، وفيما استخلصت من أحكام أدبية ونقدية · والحمد لله رب العالمين؟

د· جابـر قميحة

الفصل الأول

الشخصيّات

الانبيـــاء والرســـل

توطئـــة :

يلفت النظر فى ديوان حافظ ابراهيم بجزئية أنـه يشيـر فيـه الى عشرات مـن الشخصيات الدينيـة كالانبياء والرسـل والصحابة وغيرهم من الشخصيات التى لعبت دورا كبيرا عـلى مسرح التاريخ الانسانى الاسلامى والحضارة العربية : ويمكـن تقسيم هذه الشخصيات الى فئات ثلاث :

١ ـ الانبيـاء والرسـل .

٢ ـ الصحابـه .

٣ ـ الشخصيات الاسلامية الاخرى .

وبادىء ذى بدء نقرر حقيقة ـ سنعود اليها بالتفصيل ان شـاء الله ـ وهى أن واحدا من هؤلاء ـ اذا استثنينا عمر بن الخطاب ـ لم يظفر بقصيدة مستقلة ولكن جـاء ذكره فى سياق قصيدة فى المدح أو الهجاء أو الرثاء 'و الشكوى أو مـا شابـه ذلك .

أولا : الانبيـاء والرسل :

١ ـ آدم أبـو البشـر :

وحافظ ينظر اليه مرتبطا بشقاء البشر الذى خلفه لبنيـه وهو فى ذلك ينهج منهج أبى العلاء المعرى فى قوله الشهير :

هذا جنـاه أبى على   وما جنيت على أحد

يقول حافظ مخاطبا آدم أبـا البشر :

سليل الطين كم نلنا شقاء
وكم خطت أناملنا ضريحا(١)

٢ ـ نــــوح :

وهو يذكر نوحا كذلك فى مقام النقمة والشكوى والتبرم بالحياة فيتمنى لو أن نوحـا ماحمل فى سفينته بـل تركهـم يغرقهم الطوفان فيستريح البشر من الحياة :

ويا نوحا جنيت على البرايا
ولـم تمنحهم الـود الصحيحا
علام حملتهم فى الفلك هـلا
تركتهم فكنت لهـم مريحا(٢)

وهو يلح على نفس المعنى بعد سنوات عديدة فيرى أن الارض بما فيها من آثام وتشاحن وبغضاء لن ينقذها الا مثل طوفان نـوح :

أن دام مانحن فيه من مدابرة
وفتنة بين أجناس وأديان
رايت رأى المعرى حين أرهقه
ما حل بالناس من بغى وعدوان

---

(١) الديوان ١١٢/٢ ٠

(٢) الديوان ١١٣/٢ ٠ ونلاحظ أن حافظ ابراهيم فى هذه القصيدة قـد أشار الى «اسحاق» الذبيح خلافا للمشهور عنـد العلماء من أن الذبيح هو اسماعيل لا اسحاق (أنظر فى تحقيق ذلك : قصص الانبياء للشيخ عبد الوهاب النجار ٠

لاتطهر الارض من رجس ومن درن
حتى يعاودها نوح بطوفان(٣)

٣ ـ ابراهيم :

وهو يعرض لابراهيم ـ عليه السلام ـ فى سياق وصفه للشمس ويضمن هذا الوصف مشهد الجدل بين ابراهيم وقومه وما كان من براعة إبراهيم فى توظيف آيتين من آيات الله هما الشمس والقمر فى دعوة قومة الى الإيمان بخالقهم (٤) ٠

لاح منها حاجب للناظرين
فنسوا بالليل وضاح الجبين
ومحت آيتها آيته
وتبدت فتنه للعالمين
نظر ابراهام فيها نظرة
فارى الشك وماضل اليقين
قال ذا ربى ، فلما افلت
(قال : انى لا أحب الآفلين)
ودعا القوم الى خالقها
وأتى القوم بسلطان مبين(٥)

---

(٣) الديوان ١٤٠/١ ٠ وهو يشير بذلك الى قول أبى العلاء المعرى :
والارض للطوفان مشتاقة
لعلها من درن تغسل
(٤) فصلت هذا الحوار سورة الانعام فى الايات من ٧٦ الى ٧٩ ٠
(٥) ديوان حافظ ٢٠٧/١ ٠

٤ ـ يوسف :

ولـم يبرز حافظ شيئا من ملامح شخصية يوسف ـ عليه السلام ـ فى الابيات التى أوردها فى سياق قصائده ماعدا الحكمة والعلم فى بيت واحد فى قصيدة يمدح بها الامام محمد عبـده ويشبهه فى هذين الملمحين بيوسف عليه السلام فيقول :

رأيتك فى الافتاء لا تغضب الحجا
كأنك فى الافتاء والعلم يوسف(٦)

أمـا ما عـدا ذلك فـلا يتعدى اشارات تاريخية لوقائع وأحداث فى حياة يوسف عليه السلام لم يفلح حافظ فى توظيفها التوظيف الفنى الحى فى سياق قصائده كواقعه بيع يوسف غلاما فى مقام حديثة عن ظلم الايام التى أزرت بالناس .

وباعت (يوسف) بيع الموالى
والقت فى يد القوم المسيحا(٧)

واكثر من ذلك افتعالا ماذكره حافظ عن يوسف حين طلب من صاحبه الذى يبرح السجن أن « يذكره عند ربه » أى عند العزيز . فهـو يتمنى أن يكون سجينا «مصفـدا» ويذكر أن يوسف لو كان حيا ما تمنى أن يغادر السجن لان رفعت بك تولى وكالة مصلحة السجون فهو يهنئه قائلا :

أهنيك أم أشكو فراقك قائلا
الا ليتنى كنت السجين المصفدا

---

(٦) الديوان ٢٣/١ وهو بذلك يشير الى قوله تعالى عن يوسف عليه السلام : ولما بلغ أشده آتيناه حكما وعلما ، وكذلك نجزى المحسنين » يوسف ٢٢ .

(٧) الديوان ١١٣/٢ .

فلو كنت فى عهد (ابن يعقوب) لم يقل
لصاحبه اذكرنى ولا تنسى غدا(٨)

٥ ـ موسى :

وفى قصائد متعددة يشير حافظ ابراهيم الى موسى عليه السلام . فهو يهنىء الخديوى عباس الثانى بعيد الاضحى سنة ١٣٢١ هـ (١٩٠٤) مشيرا الى سعة ملكه وسلطانه :

من كردفان الى مصر الى جبل
عليه كلمه موسى بن عمران(٩)

ومن أروع قصائده تلك التى هنا بهـا احمد شوقى فى حفل تكريمه وتنصيبه أميرا للشعراء اذ دفع عن شوقى تهمة العى والحصر دفعا جميلا ... فمن المعروف أن «شوقى» لم يكن ينشد شعره بنفسه بل يكلف غيره بانشاده .

ويجد حافظ فى استعانة موسى بهارون ما يدفع عن شوقى هذه التهمة فيقول :

يعيبون شوقى أن يرى غير منشد
وماذاك عن عى به أو ترفع
وما كان عابا أن يجىء بمنشد
لاياته أو أن يجىء بمسمع

---

(٨) الديوان ٣٣/١ جاء فى سورة يوسف : الاية ٤٢ « وقال للذى ظن انه ناج منهما اذكرنى عند ربك ، فانساه الشيطان ذكر ربه ، فلبث فى السجن بضع سنين » . وانظر أشارة حافظ الى قصة رؤيا فتى العزيز فى السجن ٢٤١/١ .
(٩) الديوان ٣٠/١ .

فهذا كليم الله قد جاء قبله
بهارون ما يأمره بالوحى يصدع(١٠)

ويشير كذلك الى موسى وآياته التسع فى قصيدة قرظ بها كتاب محمد المويلحى «حديث عيسى بن هشام» فيقول :

هذا كتابك قد حكت آياته
آيات موسى التسع فى الاكبار(١١)

ويجىء ذكره موسى كذلك فى مقـام التعبير عن اعجابـه المفرط بالمغنى الاسرائيلى «جاك رومانو» فيرى أن «العـود» فى يده كالعصا فى يـد موسى ... كلاهما معجزة :

---

(١٠) الديوان ١١٢/١ . وتشبيه شوقى بموسى فى هذا التمثيل لايخدم الغرض الذى تغياه حافظ منه وهو دفـع العى عن شوقى فقد كان موسى يدعو ربه « واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى » طه ٢٧ . وكان منطق فرعون مشير لموسى « أم أنا خير من هذا الذى هو مهين ولا يكاد يبين» الزخرف ٥٢

وكانت هذه العقدة هى الباعث الذى حدا به الى دعـوة ربـه أن يعينـه فى دعوتـة بأخيه هارون « ويضيق صـدرى ولا ينطلق لسانى فأرسل الى هارون » الشعراء ١٣ .

« وأخى هارون هو افصح منى لسانـا فأرسله معى ردءا يصدقنى انى أخاف أن يكذبون » القصص ٣٤ .

(١١) الديوان ١٥٢/١ اشارة الى قوله تعالى « ولقـد آتينا موسى تسع آيات بينات فاسأل بنى اسرائيل اذ جاءهم » الاسراء ١٠١ وفى تفصيل هـذه الآيات انظـر النجـار : قصص الانبيـاء ١٩٧ .

قد جاء موسى بالعصا وأتيتنا
بالعود يشدو فى يديك وينطق(١٢)

٦ ـ سليمـان :

ويتحدث حافظ عنه فى الماع خاطف مشيرا الى ملكه العظيم فى سياق رثائه لمحمود سامى البارودى فيقول مخاطبا اياه :

لبيك يامؤنس الموتى وموحشنا
يا فارس الشعر والهيجاء والجود
ملك القلوب ـ وأنت المستقل به
أبقى على الدهر من ملك أبى داود(١٣)

وهى صورة رائعة على بساطتها تؤكد حقيقة أزلية مؤداها أن الثروة الحقيقة هى حب الناس لاسعة السلطان والجاه والسيادة (١٤) .

ولكن الافتعال يطل برأسه حين يحاول أن يربط حافظ ابراهيم بين سليمان أباظة باشا ناظر المعارف وسليمان بن داود عليهما السلام وليس ثمة وشيجة بينهما أكثر من أن هذا هو سمى ذاك ، وهى أبيات لا يستطيع القارىء حين يقرؤها أن يملك نفسه من السخرية بل الامتعاض والغثيان يقول حافظ

---

(١٢) الديوان ٢٢٢/١ . وانظـر كذلك ذكره لموسى فى ٢١/١ ، ٦٤/١ ، ١٢٨/٢ .

(١٣) الديوان ١٣٩/٢ .

(١٤) الديوان ٣٧/١ . وأنظ كذلك الديوان ١٦١/١ حيث يشير فى بيتين الى سخير الريح لسليمان عليه السلام . ، ص ١٦٤ اذ يشير الى عظمة سليمان وملكه فى الدنيا مما لم يؤتـه الله أحدا .

مـن قصيدته فى تهنئة سليمان اباظـة باشـا بابلاله من مرض الـم بـه :

«سليمان» ذكرت الزمان واهله
بعـز سليمان واقبال دنيـاه
اذا سرت يوما حذر النمل بعضه
مخافة جيش من مواليك يغشاه
وان كنت فى روض تغنت طيوره
وصاحت على الافنان : يحرسك الله
وكان (ابن داود) له الريح خادم
وتخدمك الايام والسعد والجاه(١٥)

وواضح أنه نوع من التهريج الادبى أو اللا أدبى يعتمد كما قلت على رابطة آوهى من بيت العنكبوت ، وهى الاشتراك فى الاسـم ٠٠ ويجنح حافظ فى هـذه الابيات شأنـه فى مطالع حياته الادبية الى الاغراق فى المبالغة ٠٠ وهو ما يرفضه العقل، ويلفظه الذوق السليم ، لأنـه لا يمثـل تجربة نفسية وانفعالا صادقا ٠ والشعر الجيد ـ كما يقول طه حسين ـ يمتاز قبـل كل شىء بأنه مرآة لما فى نفس الشاعر من عاطفة ، مرآة تمثل هذه العاطفة تمثيلا فطريا بريئا من التكلف والمحاولة ، فـاذا خلت نفس الشاعر من عاطفة ، أو عجزت هذه العاطفة عن أن تنطق لسان الشاعر بما يماثلها فليس هناك شعر وانما هنـاك نظم لاغنـاء فيـه (١٦) ٠

---

(١٥) الديوان ٣٧/٨ ٠
(١٦) طه حسين : حافظ وشوقى ٩٩ ٠

٧ ـ عيسى :

ويشير حافظ الى عيسى بن مريم اشارات عابرة فى مواضع لاتتعدى أصابع اليد الواحدة ، فيذكره فى القصيدة التى رثى بها سليمان اباظة باشا سنة ١٨٩٧ وفيها يخاطبه بقوله :

شوقتنا للترب بعدك واشتهى
فيه الاقامة واحد العذراء(١٧)

فحب الخلائق للمرثى يجعلهم يشتاقون الى الموت ليجاوروا سليمان فيه .. حتى المسيح بن مريم انه ليتمنى أن يتخلى عن مكانه فى السماء حيث رفعه الله وأن يدفن فى التراب ليكون فى جوار المرثى .. وواضح ما فى ذلك من الركة وتفاهة المعنى والاغراق فى المبالغة .

وربما كان الاقرب الى الصدق الفنى والبعد عن الافتعال والتعسف أن يذكر الشاعر المسيح عليه السلام فى مقام حديثه عن أطباء مصر المهرة البارعين فى الجراحة والعلاج :

ومطبب للعين يحمل ميله
نورا اذا غشى العيون قتام
وكان اثمده ضياء ذره
(عيسى بن مريم) فانجلى الاظلام (١٨)

فللسيد المسيح مكانه المرموق فى هذا المجال كما ذكر القرآن الكريم فقد كان كما يقول القرآن على لسانه :

---

(١٧) الديوان ٢/١٣٦ .
(١٨) الديوان ٢/١٨٨ . وأنظر اشارته للمسيح كذلك ٢/٧٣ ، ٢/١١٣ .

« وأبرىء الاكمه والابرص وأحيى الموتى باذن الله ٠»(١٩)

ويقول عنه تعالى « وتبرىء الاكمه والابرص باذني ، واذ تخرج الموتى باذنى » (٢٠) ٠

٨ ـ محمد عليه السلام :

لحافظ قصائد كاملة فى المناسبات الاسلامية التى ترتبط بمولد الرسول وهجرته ٠ سنعرض لها فيما بعد ٠ ولكنه يذكر محمدا عليه السلام فى ابيات مفردة على سبيل الاشارة والالماع، وهو يذكره فى هذه الابيات القليلة مرتبطا بالرسل الاخرين أو بالكتب السماوية الاخرى فيقول فى سياق قصيدته التى يهنىء فيها الخديوى عباس الثانى بقدومه من الحج :

اسير خلال الركب نحو حظيرة
على ربها صلى الاله وسلما
الى خير خلق الله من جاء ناطقا
بأياته انجيل عيسى بن مريما(٢١)

وحافظ بذلك يؤكد أصالة الإسلام وجذوره الضاربة فى تربة الاديان السماوية السابقة ٠

وقد يكون لهذا التاكيد فائدة عملية وثيقة فى زرع روح المحبة بين المسلمين والاقباط ، ويوسع حافظ من دائرة هذه

---

(١٩) الايه ٤٩ آل عمران ٠
(٢٠) المائدة ١١٠ وانظر فى معجزات عيسى هذه قصص القرآن للشيخ عبد الوهاب النجار ص ٤٠٨ ـ ٤٢١ ٠
(٢١) الديوان ٥١/١ ٠

الروح لتشمل الاديان الثلاثة والرسل الثلاثة ، فيقول وهو يهنىء السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه (١٩٠٨) :

يرعى لموسى والمسيح وأحمد
حق الولاء وحرمة الاديان

فخذوا المواثق والعهود على هدى التوراة والانجيل والفرقان (٢٢) .

ولا يكاد حافظ يشير الى ذكر النبى عليه السلام مفردا بلا رابطة بينه وبين غيره من الانبياء والرسل ، أو بينه وبين الاديان والكتب السماوية الاخرى اذا استثنينا قول حافظ فى فيكتور هوجو :

ساءه الا يرى فى قومه
مسبرة الاسلام فى عهد النبى(٢٣)

---

(٢٢) السابق ٤٦/١ .
(٢٣) السابق ٤٠/١ .

الصحابة والشخصيات الاسلامية

إذا استثنينا - مطولة حافظ فى عمر بن الخطاب - لم نجد له قصيدة ولا حتى مقطوعة متكاملة فى شخصية من شخصيات الصحابة أو الشخصيات التى لعبت دورا فعالا فى تاريخ الاسلام والمسلمين .. انما جاء حديثة عن هؤلاء كحديثة عن الانبياء والرسل ... حديثا عابرا لا يقصد حافظ من ورائه الى رسم بعد من أبعاد الشخصية أو تجسيد قيمة من قيمها انما كان هدفه الاساسى تمجيد الممدوح أو المرثى بتشبيهه بشخصية من هذه الشخصيات من أمثال أبى بكر وعمر وعثمان وعلى وحسان بن ثابت وعمرو بن العاص وأبى دجانة والاحنف بن قيس وهارون الرشيد وعلى زين العابدين والمعز لدين الله الفاطمى وجمال الدين الافغانى . واغلب هؤلاء لم يعرض لهم حافظ الا مرة واحدة أو مرتين عدا عمر بن الخطاب الذى ذكره فى مواقف متعددة .

فهو يرثى عبد الحليم المصرى سنة ١٩٢٢ وهو الشاعر الذى نظم مطولة عن أبى بكر الصديق (١) وفى هذا الرثاء يقول حافظ مخاطبا عبد الحليم المصرى :

نسامر أبا بكر هناك فانه
سيظفر فى عدن بخير مسامر(٢)

---

(١) وقد بداها المصرى بقوله :
اقضنى أبا بكر عليهم قوافيا
وأمطر لسانى حكمه ومعانيا

(٢) الديوان ٢/٢٠٢ .

وهو البيت الوحيد الذى ذكر فيه أبا بكر رضى الله عنه. وذكره قبل ذلك مرة واحدة مقرونا بعمر بن الخطاب فى قصيدة يهنىء فيها السلطان حسين كامل بالسلطنة .. ويغرق فى مدحه اغراقا غير مستساغ فيخاطبه قائلا :

وجدد سيرة العمرين فينـا
فانك بيننا لله ظـل (٣)

أما عثمان بن عفان فلم يشر حافظ اليه الا من ناحية جمعه للقرآن وذلك فى تقريظه لكتابين الكتاب الاول هو «فحول البلاغة» للسيد توفيق البكرى فيقول فيه حافظ (١٣١٣هـ) :

هـذا كتـاب مـذ بـدا سره
للناس قالوا معجز ثانى
اثابك الله على جمعـه
ثواب عثمان بن عفان (٤)

والكتاب الثانى هو كتاب «مرآة العروض» للشيخ أحمد عثمان المحرزى وهو مطبوع سنة (١٣٣٥) . وقد قرظه حافظ بثلاثة أبيات أولها :

(عثمان) انك قد اثبت موفقا
شروى سميك جامع التنزيل(٥)

---

(٣)الديوان ٦٨/١ ،العمران هما أبو بكر وعمر ـ رضى الله عنهما ـ ويقال لهما الشيخان لذلك .
(٤) الديوان ١٤٨/١ .
(٥) الديوان ١٥٣/١ : وشروى سميك أى مثل سميك : عثمان بن عفان جامع القرآن ـ رضى الله عنه .

ولـم يـرد ذكـر على بـن أبى طالب فى ديـوان حافظ الا مقرونا بذكر عمر بن الخطاب ولم يزد ذلك على مرتين :

الأولى : وهو يهنىء الامام محمد عبده بمنصب الافتـاء (١٣١٧هـ ـ ١٨٩٩م) اذ يقول :

رأيتك والابصار حولك خشع
فقلت (أبو حفص) ببرديك أم على(٦)

والثانى : بعد ذلك بربع قرن (سنة ١٩٢٤) وهو يهنىء سعد زغلول بالنجاة من محاولة اغتياله : فيبين أن لكل عصر جناته ومن هؤلاء الجناة من :

جاروا على الفاروق اعدل من قضى
فينـا وزكى رأيـه التنزيل
وعلى على وهو أطهرنا فمـا
ويـدا وسيف نبينـا المسلول (٧)

أما عمر بن الخطاب فيظفر بالنصيب الاوفى من اهتمـام حافظ ٠ وهـو المثـل الاعلى الذى يشبـه بـه الامراء والزعماء والعظماء فى مدائحه وفى مراثيه فهو يرى أن الامام محمد عبده كانه عمر زمانه وفاروق عصره :

رأيت فيها بساطا جل ناسجه
عليه فاروق هذا الوقت يختال(٨)

---

(٦) الديوان ١/٤ ٠
(٧) الديوان ١/١٣ ٠
(٨) الديوان ١/٦ ٠

فهو يتبع طريقة ويسلك سبيله :

وتفانيك فى سبيل أبى حفص
ومسعاك عنـد دفع المضاب(٩)

وهو فى نظرة رمز فى أسمى صورة وأرقى مراتبة فيهنىء الملك الانجليزى العادل ادوارد السابع (١٨٤١ - ١٩١٠) بعد تتويجه ويرى أنه فى هذا العدل يذكره بعمر بن الخطاب فكان يسلك سبيله :

هم يذكرونك ان عدوا عدو لهم
وتحن نذكر أن عدوا لنا (عمرا)
كأنما أنت تجرى فى طريقته
عدلا وحلما وايقاعا بمن أشرا(١٠)

ويشبه بـه «شوكت» أحـد زعماء الاتحاد والترقى لانـه حمى الدستور وحرض على الحق :

فمن يطلب الدستور بالسوء بعدما
حمته يـد الفاروق فالله طالبه
اذا (شوكت) الفاروق قام مناديا
الى الحق لبـاه (نيازى) وصاحبه(١١)

وابلغ من ذلك وادل على شخصية الفاروق غضبته للحـق وللرسول عليه السلام وقد ساق حافظ ذلك فى مقام رثائه لمصطفى كامل سنة ١٩٠٨ فيقول مخاطبا ايـاه :

---

(٩) السابق ٢٥/١
(١٠) السابق ٢٠/١ .
(١١) الديوان ٤٨/٢ .

قد كنت تغضب للكنانة كلما
حمت وهم رجاؤها بعثار
غضب التقى لربه وكتابه
أو غضبة الفاروق للمختار (١٢)

وكل أولئك يدل على شدة تعلق حافظ ابراهيم وحبه لعمر بصفة خاصة واعتزازه به ... ولم يعد حافظ يكتفى بهذه المعانى الجزئية والاشارة الى عمر بالبيت والبيتين على هذا النحو التقليدى بل خصه وأفرده بعد ذلك بمطولته المشهورة التى نظمها سنة ١٩١٨ والتى بلغت مائة وسبعة وثمانين بيتا (١٣) وكانت ولاشك تطورا موضوعيا وفنيا كبيرا فى مجال الشعر التاريخى .

ومن تمام القول .. وقبل أن نقف وقفه متانية عند عمرية حافظ لنتبين منهجه الفكرى والفنى فيها ننوه الى أن «حافظ قد أشار أيضا على سبيل الالماع الى شخصيات اسلامية أخرى ، منهم الخلفاء كالرشيد والمعز لدين الله الفاطمى ، وصلاح الدين الايوبى .ومنهم الولاة كعمرو بن العاص والاحنف بن قيس ، ومنهم الشعراء كحسان بن ثابت والفرزدق ومنهم الدعاة والمصلحون كعلى زين العابدين وجمال الدين الافغانى .

وكعهدنا بحافظ لاينطلق راسما أبعاد هذه الشخصيات أو متعمقا موقفا من مواقفه .. بل ياتى ذكر هذه الشخصيات

---

(١٢) الديوان ١٥٢/٢ .
(١٣) ذكر عبد الحميد الجندى فى كتابه عن حافظ ص ١٤٨ أن عداتها ٢٨٦ بيتا والصحيح ما ذكرناه .

كما قلنا من قبل فى سياق قصائد المدح والتهانى والرثاء وغيرها هادفا من وراء ذكرها رفع قيمة الشخصية التى يتحدث عنها حين يشبهها بهذه الشخصيات التاريخية فهو يمدح السلطان عبد الحميد ويزعم أن « مدحته عزت شواردها على حسان » (١٤) وشعراء لبنان فى ظلال الطبيعة الساحرة أخصبت قرائحهم « فاعجزت واعادة عهد حسان » (١٥) والامام محمد عبدة :

تجلى «جمال الدين» فى نور وجهه
وأشرق فى أثناء برديه أحنف(١٦)

وهو يمدح الملك فؤاد (فى ١٥ مارس ١٩٢٣) فى سياق قصيدته عيد الاستقلال ويرى أنه حين تولى عرش مصر ذكرت مصر « عرش المعز بها وعرش صلاح » (١٧) ويمدح عباس حلمى الثانى فى حين حج بيت الله الحرام (١٣٢٧ – ١٩٠٩) بانه لما استلم الركن هاجت شجون الركن حتى :

تذكر (زين العابدين) وجده
وما كان من قول الفرزدق فيهما(١٨)

---

(١٤) أنظر الديوان ١/٥٠ .
(١٥) السابق ١/١٣٦ .
(١٦) السابق ١/٢٣ .
(١٧) السابق ٢/١٠٠ .
(١٨) الديوان ١/٥٢ : حافظ غير موفق فى هذا الاستشهاد لان الفرزدق مدح على زين العابدين تحديا لعبد الملك مروان حين سأل فى استصفاء من هذا ؟ والرابطة الشبيهة بين الاميرين وقد تكون أقرب الى الذهن منها بيد الخديوى وعلى زين العابدين .

ومن هذا القبيل تشبيهه عبد الخالق ثروت فى دهائه بعمرو بن العاص (١٩) وتمضى هذه الاسماء التاريخية فى هذا النطاق الضيق المخنوق لها وظيفة فذة وهى رفع قيمة الممدوح أو المرثى أو المهنأ حين تكون مشبها بها غالبا ، ولم يحرك حافظ شخصية من هذه الشخصيات لتعطينا مشهدا كاملا أو صورة ممتدة ذات أبعاد الا نادرا . ومن هذه الصور النادرة ما قاله عمرو بن العاص فى حديثه عن مصر :

قد قال عمرو فى ثراها آيـة
مأثورة نقشت على الالواح
بيتا تراء لالئا وكانما
نثرت بتربته عقود مـلاح
واذا به للناظرين زمرد
يشفيك أخضره من الاتراح
واذا بـه مسك تشق سوده
شق الاديم محارث الفلاح (٢٠)

وعودا على بدء نقرر فى ايجاز أن موقف حافظ فى معالجته لشخصيات الانبياء والرسل والصحابه والشخصيات التاريخية القديمة يتلخص فيمـا يلى :

---

(١٩) أنظر الديوان ٢٣٠ .

(٢٠) الديوان ١٠١/٢ ويريد بالاية رسالة عمرو بن العاص الى عمر يصف فيها مصر ومما جاء فيها « فبينما هى يا أمير المؤمنين دره بيضاء ، اذا هى عنبره سوداء ، واذا هى زبرجده بيضاء ، فتعالى الله الفعال لما يشاء» أنظر الرسالة كلها ص٢٦٦ ، ٢٦٧ من كتاب «نظام الحكومة النبوية» المسمى « التراتيب الادارية ح٢ للشيخ عبد الحى الكتانى » .

١ ـ الايجاز الشديد فاغلب هذه الشخصيات يوردها حافظ على سبيل الالماع بل الالماع دون تعميق أو بسط لابعادها .

٢ ـ وذكره لها لم يكن مقصودا لذاته انما يذكرها حافظ فى مقام قصائد فى المدح أو التهنئة أو الشكوى أو الرثاء أو ما شابه ذلك لرابطة شبيهة يراها أو يتوهمها بينها وبين الشخصية الاصلية موضوع القصيدة .

٣ ـ كما أنه يلتقط من الشخصية أبرز ما اشتهرت به فى التاريخ من صفة أو ما أرتبطت من واقعة وكانت به نموذجا يحتذى ومثلا سائرا :

ـ فموسى مشهور بعصاه وآياته التسع .

ـ وعيسى بقدرته على ابراء الاكمة والابرص ـ ويوسف بالتاويل وتعبير الرؤى ـ وعثمان بن عفان يذكره حافظ بأشهر مواقفه وأجل خدماته للاسلام وهو جمع القرآن ـ وعمر عرف قبل خلافته وأثنائها بحزمه وشدة غضبته للحق .

٤ ـ وقد ياتى الالماع الى الشخصية بصورة عامة دون تحديد لوصف من أوصافها أو اشارة انى موقف من مواقفها أو حدث أو عمل يرتبط بها كما حدث أحيانا فى اشارته الى موسى وعيسى وأبى بكر وعمر وغيرهم .

الامــام محمــد عبــده

(١٨٤٩ ـ ١٩٠٥)

كــان الامــام محمد أهــم شخصية دينيــة شغلت التاريخ المصرى فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، ولم يبالغ الشيخ محمد مصطفى المراغى حين قال عنه «أعتقد أننا اذا جاوزنا عصر السلف لانجد رجلا رزق فهما فى هدايــة القرآن ووسع صــدره أدق معانيه الاجتماعية والعمرانية مثــل الامام محمد عبده ، ولقــد وهبه الله شروط الامامة الدينيــة جميعها كما منحه التبصر فى أمور الدنيا .

ويقول د. تشارلز آدمز

وقد لا نعدو الحق اذا قررنا أن المدرسة الحديثة مدينــة فى وجودها نفسه الى الاستاذ الامام ، وأنها فى كثير من الامور الجوهرية مشتقة منة وصادرة عنه (١) .

وكــان كذلك مصلحا فى الادب واللغة فهــو الــذى أخرج كتاباتنا الصحفية من الدائــرة البالية العتيقــة دائــرة السجع وما يرتبط بــه مــن أنــواع البديع الى دائرة الاسلوب الحــر السليم ، وكان على رأس من طوعوا هذا الاسلوب ومرنوه على تحمل المعانى السياسية والاجتماعية الجديدة (٢) .

---

(١) عبــد الجواد سليمان : الشيخ محمــد عبــده امــام المجددين فى الاسلام ص ٨ ش

(٢) ضيف : الادب العربى المعاصر فى مصر . ٢٢٧ .

ولما تبرم حافظ وضاق ذرعا بالعيش فى السودان أرسل كتابين الى الامام محمد عبده يشكو فيهما سوء حاله ويستنجد به ليتوسط لدى المسئولين لنقله الى القاهرة (٣) .

ولما عاد الى مصر ازدادت صلته بالامام توثقا وكان يجالسه كثيرا فى دروسه وكان الامام دائما يعطف عليه ويمده بما يحتاج (٤) .

وقد روى العقاد نقلا عن حافظ ابراهيم نفسه أن الامام محمد عبده تسلم من حافظ أكثر نسخ قصة «البؤساء» بعد صدور الجزء الاول ثم أسلم حافظ من ثمنها ما يكفيه سنوات لولا أن رزق السنوات ـ كما يقول العقاد ـ لا يجاوز فى يدى حافظ مدى الشهور (٥) . وظل عائشا فى كنفه وبره خمس سنوات قلما كان يفارق مجلسه فيها فأفاد منه علما وخلقا وادراكا صحيحا لشئون الحياة كما أفاد من مجلسه التعرف الى عظماء مصر وكبار رجالتها وقادة الرأى فيها أمثال مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وقاسم أمين وغيرهم من زعماء السياسة والفكر والادب (٦) .

---

(٣) أرسل حافظ الى شرقى السودان سنة ١٨٩٦ والحق بسلاح المدفعية (الطبجية) ثم جعل بين القائمين على أقوات الجيش (التعيينات) وأحيل الى الاستيداع بعد ذلك فى ١٩٠٠/٥/٣ (أنظر الجندى ٢٣ ومقدمة الديوان ص ٤) .

(٤) أنظر الطناحى شوقى وحافظ من ص ١١٥ الى ص ١٢٠ وأنظر أحمد أمين مقدمة الديوان ص١٢ ـ ص١٥ .

(٥) العقاد : محمد عبده ص ٢٥٦ .

(٦) الجندى ٩٢ .

وكان من طبيعة الامام محمد عبده الكرم الفياض والاحسان الذى لاينقطع على ذوى الحاجات من الناس ... قال حافظ بعد موت الامام « وقد رأيت فى مأتمه شخصا يبكى بكاء حارا لا يشفق على نفسه فيه ، فأردت أن أخفف عنه أحزانه بأن مصابه هو مصاب الجميع ، فأجاب هذا الشخص « لست أبكى على مصابى فيه فقط ، بل أبكى على مصاب هؤلاء المساكين الذين كنت أوزع عليهم كل شهر مرتباته ، وفى ذلك قلت فى مرثيته :

بكينا على فرد وان بكاءنا

على أنفس لله منقطعات

تعهدها فضل الامام وحاطها

باحسانه والدهر غير مواتى(٧)

فلا عجب اذن ان يعتز حافظ ابراهيم بالاستاذ الامام وأن يخلص له الود ويعترف له بالجميل وأن ينظر اليه النظرة اللائقة به عالما واماما ، ورائدا تقيا نقيا ويصل به الاعجاب الى حد الاغراق فى المدح والاسراف فى المبالغة على عادة بعض القدماء بصورة لا تليق بحافظ ولا يستسغيها الامام نفسه كما سنعرف بعد قليل . وفى احدى رسائل حافظ الى الامام من السودان يصور حافظ أنه يعانى هناك ما عاناه وقد حل حلول الكليم فى التابوت والمغاضب فى جوف الحوت، بين الضيق و الشدة ، والوحشة والوحدة ... لا بل حلول

---

(٧) الطناحى : السابق ١٢١ . والبيتان من قصيدته فى رثاء الامام محمد عبده : الديوان ١٤٤/٢ .

الوزير (٨) فى تنور العذاب ، والكافر فى موقف يوم الحساب بين نارين : نار القيظ ونار الغيظ (٩) .

وكان حرص حافظ على الزينة اللفظية وخصوصا السجع والجناس وترسم خطى القدماء فى هذه الرسالة هو السر فيما نجده فيها من تكلف ومبالغات أهدرت معها الطاقة الشعورية وصدق المعاناه وليس فى الرسالة كلها ما يصور ملمحا من ملامح الامام انما كلها استغاثات من حافظ تستصرخ الامام الذى يشبه المعتصم الذى جيش الجيوش لانقاذ الاسيرة المسلمة ويشبه نجمة القطب التى يعتمد عليها الملاح ... الى آخر هذه الصورة البراقة المنفوشة التى لا تعبر عن معاناة صادقة ، ولا تعطى بعدا من أبعاد النفس ، والتى ابتذلت واهترأت من كثرة الاستعمال على مدار التاريخ الادبى .

ودأب حافظ على مدحه وتهنئتة فى مناسبات مختلفة :فهو يهنئة فى قصيدة بمنصب الافتاء (١٠) ويمدحه بقصيدة يصف فيها حضرته (١١) ويمدحه بقصيدة ثالثة قالها فى سفر له الى بعض بلاد الوجه البحرى وكان مصاحبا له فى هذا السفر (١٢) ويهنئة فى قصيدة أخرى بعودته من سياحته فى

(٨) هو محمد بن عبد الملك الزيات الذى سجنه المتوكل فى تنور صنعه ابن عبد الملك لتعذيب اعدائه فعذبه المتوكل الى أن مات فيه سنة ٢٣٣هـ .
(٩) ديوان حافظ ١٢٨/٢ .
(١٠) الديوان ٤/١ .
(١١) السابق ٥/١ .
(١٢) السابق ٢١/١ .

بـلاد الجزائر في أكتوبر سنة ١٩٠٣ (١٣) ويقول فيه بيتين عند عودته من بعض أسفاره (١٤) ٠

وكانت آخر قصيدة قالها فيه حيـا هى تلك التى قالهـا مدافعا عنه ضد من حمل عليه فى الصحف بوضعه فى رسومات هازلة «كاريكاتيرية» فيها سخرية منه ٠

ثـم كانت آخر قصائده فيـه وأشحنها بالحزن والشجى هى قصيدته فى رثائه التى نشرت له فى ٢٢ من أغسطس سنة ١٩٠٥ وهى قصيدة طويلة بلغت اثنين وخمسين بيتـا (١٥) وفى ١١ من يوليو سنة ١٩٢٢ ينشد فى حفل أقيم فى الجامعة المصرية قصيدة فى ذكرى الامام محمد عبده من ثلاثة وأربعين بيـا (١٦) ٠

والحقيقة أن ما نظمه حافظ فى الاستاذ الامام يعـد من أصدق وأبرع ما نظمه حافظ فى ممدوح لان الدافع كان حبـــا حقيقيا تعمق وجدان حافظ ففاض شعرا يشد المشاعر والاحاسيس ومـن الناحية الموضوعية استطاع حافظ أن يبرز مـن شخصية الامام مواقفها المتوهجة وجوانبها الفذة التى جعلت منه شخصية من أعظم شخصيات التاريخ المصرى والاسلامى ٠

فهو العالم الوقور الجليل المهيب الجدير بمنصب الافتـاء والذى يتصدى لكل بدعة وضلالة وبذلك كان كسبا كبـيرا لهـذا

---

(١٣) الديوان ٢٣/١ ٠
(١٤) الدبوان ٢٦/١ ٠
(١٥) الديوان ١٤٤/٢ ٠
(١٦) السابق ٢٠٣/٢ ٠

المنصب وكان ظفرا أكبر للاسلام وفى ذلك يقول حافظ فى أول قصيدة فيـه :

رأيتك والابصار حولك خشع
فقلت (أبو حفص) ببرديك ام على
وجردت للفتيا حسام عزيمة
بحدية آيات الكتاب المنزل
محوت به فى الدين كل ضلاله
وأثبت ما أثبت غير مضلل
لئن ظفر الافتاء منك بفاضل
لقد ظفر الافتاء منك بأفضل (١٧)

ويشير الى خدمتـه الجلى التى أسداهـا للاسـلام بتفسير المنـار (١٨) .

ويتصدى فى شراسـة لاحـدى الصحائف التى رسمته فى صورة ساخرة «كاريكاتيرية» ويصفها بأنها «صحائف الفجـار» ويصف عمل هؤلاء بأنه «غارة أشرار» ويخاطب الامام ذاكـرا أنهم نقموا وحقدوا وأساءوا ولكنهم :

لن يحجبوك عن الورى أو يحجبوا
فلق الصباح ومشرق الاقمار (١٩)

وكان رثاؤه فى الامام محمد عبده يتمثل فى أخلد قصائده على الاطلاق وقـد استمدت هـذه القصيدة خلودها من الرائى

---

(١٧) الديوان ١/٥ .
(١٨) الديوان ١/٢٥ .
(١٩) الديوان ١/٢٧ .

والمرثى ، فقد كان حافظ صادقا فى وفائه وفى حزنه ولوعته ، وكانت حيــاة الامــام نموذجا بليغا للمصلحين المخلصين الذين ينشدون لدينهم العزة والقوة ولوطنهم المجد والعظمة (٢٠) ٠

وفى هــذه القصيدة يعرض حافظ مواقف الامــام فى صبره على ايذاء حاسديه وتوفيقه بين الدين وبين الحقيقة والشريعة وبعــد ذلك يجسد (يكشف) بعدين مهمين من أبعــاد شخصية الامام رحمه الله وهمــا : دفاعه عن الدين وخاصة فى تصديــة لاثنين من عتاة المستشرقين الصليبيين هما : « هانونو » و « رينان » اللذين دأبا على الطعن ى الاسلام والهجوم عليــه والثانى : هو البعد الروحى الذى يتمثل فى خوفهمن الله خشيته لــــه وتهجده ومناجاته ايــاه فى جوف الليــل والناس نيــــام ويقول حافظ :

وقفت (لهانونو) و (رينان) وقفة
أمدك فيها الروح بالنفحات (٢١)

---

(٢٠) الجندى : حافظ ابراهيم ١٣٣ ٠

(٢١) المعروف أن محمد عبده رد على هانونو فى أوائل سنــة ١٩٠٠ وكان هانونو قد هاجم الاسلام وخصوصا فى عقيدة الالوهية والقضاء والقــدر منتصر العقبــدة النصرانية فى هذين المجالين وقد رد عليه الامام محمد عبده بعدة مقالات جمعت فى كتاب باسم « الرد على هانونو » ثم باسم « الاسلام والرد على منتقدية » ولم يعرف عنه أنــه رد على رينان ، فهــذه سقطة من سقطات حافظ ٠ ومن عجب أن محققى الديوان وهمو كما هم فذكروا فى الهامش أكثر من مــرة أن الامام ــ وكذلك على رينان (هامش ديوان حافظ ٦٦/١ ، وهامش ١٤٥/٢)

وخفت مقام الله فى كل موقف
فخافك أهل الشرك والنزغات
وكم لك فى اغفاءة الفجر يقظة
نفضت عليها لـذة الهجعات
ووليت شطر البيت وجهك خاليا
تناجى الـه البيت فى الخلوات
وكم ليلة عاندت فى جوفها الكرى
ونبهت فيها صادق العزمات
وأرصدت للباغى على دين أحمد
شباة يراع ساحر النفثات
اذا مس خد الطرس فاض جبينه
بأسطار نـور باهر اللمحات
كأن قرار الكهرباء بشقه
يريك سنـاه أيسـر اللمسات(٢٢)

وحافظ فى مرحه وكذلك فى رثائه للامام محمد عبده يميل الى الاسهاب والتفصيل (تغنينا بمواقفه وخصائصه ... ولكنه كذلك يكثف أهـم صفاتـه أحيانـا فى البيت) والبيتين بألفاظ رشيقه عبارات مقسمة تقسيما موسيقيا حسنا كقوله فى أحـدى مدائحـه :

= وقد كان من طبع حافظ أنه لايجشم نفسه عناء البحث والمراجعة والتنقيب وكان هذا من عيوبه الجوهرية (انظر أحمد أمين زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ٣٣٢ والموسوعة العربية الميسرة ١٦٦١ والزركلى : الاعـلام ٢٥٢/٦ ، وزكى مبـارك : حـافظ ابراهيم ٤٩ .

(٢٢) الديوان ١٤٦/٢ .

كثير الايادى حاضرا الصفح منصف
كثير الاعادى عائب الحقد مسيف
لــه كل يوم فى رضى الله موقف
وفى ساحة الاحسان والبر موقف (٢٣)

ومثل قوله فى مرثيته مخاطبا بيته فى عين شمس :
لقد كنت مقصود الجوانب آهلا
تطوف بك الامــال بتسهيلات
مثابة أرزاق ومهبط حكمة
ومطلع أنوار وكنز غطات (٢٤)

والفجيعة فى الامام لم تكن فجيعة أمة بقدر ما هى فجيعة الاسلام وأمــة الاسلام فى حامى حمى الدين (٢٥) وتلح هــذه المعانى على حافظ فى قصيدته التى نظمها فى ذكرى الامام سنة ١٩٢٢ يتذكــر أن الفجيعة بموتــه كانت كذلك فجيعــة العلــم والرأى والفهــم ٠٠٠٠ الخ (٢٦) .

وظــل حافظ يبكى أستاذه فى كــل مناسبة ويعدد ماثــره وأفضاله فى كل فرصه حتى لبى نداء ربه ، فكان اذا رثى أحدا من بعده انفتل من رثائه الى بكاء الامام ، وذكر الفراغ الــذى ظــل شاغرا بعده لم يستطيع أحدا أن يملاه (٢٧) .

---

(٢٣) الديوان ٢٣/١ .
(٢٤) الديوان ١٤٩/٢ .
(٢٥) أنظر مطالع المرئية ص ١٤٤ .
(٢٦) أنظر الديوان ٢٠٥/٢ .
(٢٧) الجندى : حافظ أبراهيم ١٣٤ وانظر رثاء حافظ للشيخ على يوسف سنة ١٩١٣ حيث يذكر فى تضاعيفة رد الامام محمد عبده على مفتريات هانونو (دبوان حافظ ١٧٥/٢) .

والمتتبع لشعر حافظ وخاصة فى المراثى يلحظ انـه كان يجنح فى مطلع حياته الادبية إلى الغلو والاسراف فى المبالغة(٢٨) لانه كما يذكر طـه حسين كان يقلـد القدماء تقليدا ويحاكيهم محاكاة تذهب بشخصيته أو تكاد تذهب بهـا (٢٩) وفى قصائده التى مدح بهـا الامام تشـده المبالغة احيانا الى حـد الاغراق الممجوج فى التعبيـر والتصوير كتلك الصـورة التى شكلهـا فى قصيدته التى يهنىء فيهـا الامام بعودته من سياحته فى بـلاد الجزائر (سنة ١٩٠٣) (٣٠) وفيها يصور كيف أن :

وضياء الامام يوضح للرب ان سبل النجاة فوق العباب
بات يغنيه عن مكافحة البحر ورقبى النجوم والاقطاب
وسرى البرق للجزائر بالبشرى بقرب المطهـر الاواب

وحتى فى احسن قصائده فى الرثاء وهى تائيته فى رثـاء الامام لم يستطع حافظ أن يتخلص من أسر هذه المبالغات التى تنـال من قـدر القصيدة حتى لـو كانت بدافع الحب المفرط والقلب المعمود كقوله :

---

(٢٨) انظر مثلا قصيدته فى رثاء عثمان السيد اباظة بك سنة ١٨٩٦ الديوان ١٣١/٢ وقصيدته فى رثاء سليمان اباظـة باشـا سنة ١٨٩٧ ١٣٣/٢ .

(٢٩) حافظ وشوقى ١٣٣ .

(٣٠) الديوان ٢٣/١ .

ولو ضرجوا بالمسجدين لانزلوا

بخير بقاع الارض خير رفات (٣١)

وقد يخفف من حدة هذا الغلو ان البيت صيغ باسلوب شرط ، ولكن الاغراق الذى يصعب تبريره والتخفيف منه هو قوله :

فلا تنصبوا للناس تمثال عبده

وان كان ذكرى حكمه وثبات

فانى لاخشى أن يضلوا فيومئوا

الى نور هذا الوجه بالسجدات (٣٢)

وانا على يقين أن الامام محمد عبده لو كان حيا لرفض مثل هذا المعنى لتعارضه مع عقيدته حتى لو حمل ذلك محل المجاز والخيال . وعلى الرغم من هاتين الهناتين فان هذه القصيدة بالذات تبين بحق «كيف غلبت طبيعة حافظ صناعته وكيف تحدث قلبه وايمانه الى قلوب المسلمين وايمانهم ، وكيف انتقل حزنه ووفاؤه الى نفوس الناس فعلمهم كيف يجدون لذع الحزن ، وكيف يستعذبون لذة الوفاء » (٣٣) .

لقد رثى حافظ ابراهيم بعض رجال الدين وشخصيات أخرى مثل الشيخ سليم البشرى .

ولكن ظل الامام محمد عبده هو المثل الاعلى والقمة السامقة الشامخة فى نظر حافظ وظل هو الصفوه والقائد والراعى والرائد الذى أحبه حافظ فأخلص له الحب .. وعاش وفيا له ولذكراه الى أن لقى ربه .

---

(٣١) الديوان ١٤٤/٢ .

(٣٢) الديوان ١٤٨/٢ .

(٣٣) طه حسين : حافظ وشوقى ١٣٩ .

الخليفـــة العثمـانى

لم تكن البلاد العربية والاسلامية تنظر الى الدولة العثمانية كدولة استعمارية متسلطة كما كانت تنظر فيما بعد الى فرنسا وانجلترا وأسبانيا بل كانت تنظر الى الخلافة التركية كضرورة يجب أن تظل وتبقى فى مواجهة عالـم غربى صليبى منهـوم وهناك أدلة كثيرة تؤيد هذه النظرة : منها أن الجزائر قـــد دخلت باختيارها فى الدولة العثمانية وكذلك أمراء لبنان وشريف مـكة ، وأن المغاربة قد رفضوا التجنيد فى جيش المماليك لمقاتلة السلطان سليم لانهم لا يقاتلون الا الفرنج على حـد قولهم . زيادة على الاشتراك الفعلى فى حروب الدولة العلية ، فتركيا حينما كانت تضطر لمحاربة دولة مثل روسيا تنهال عليها الامداد بالمؤن والرجال من سائر الاقطار الاسلامية ، وينبث الدعاة فى كل مكان يحرضون الناس على الدفاع عن الاسلام حتى تبلـغ دعوتهم الهند والصين (١) .

وقد عاش حافظ ابراهيم (٢) وقتا تنازعت مصر فيه عدة تيـارات انعكست على الانتاج الفكرى والادبى : فتيـار مصرى

---

(١) انظر د. محمد زكى عشماوى : الأدب وقيم الحياة المعاصرة ص ١٧٤ ، جلال كشك مجلة الرسالة ص ١١٠١ وكذلك د. محمد أنيس : الدولة العثمانيـة والشرق العـربى ص ٤ ، ودكتور محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية ٢/١ .

(٢) يعتبر العمر الادبى لحافظ ابراهيم ما يقـرب من اربعين عاما وقد توفى حافظ ابراهيم فى ٢١ من يوليو سنة ١٩٣٢م وأقدم قصيدة مسجلة فى ديوانه هى قصيدته فى تهنئة عبدالحليم =

وطنى ، وتيار قومى عربى ، وتيار اسلامى . وكان من دعاة المصرية الخالصة : لطفى السيد الذى كان يدعو الى جامعة مصرية خالصة ، ولا يعترف بالرابطة العثمانية لانها لون من الوان الاستعمار ، كما أنه لا يعترف بالجامعة الاسلامية لانها من وجهة نظره ـ وهم لا سبيل الى تحقيقه من الناحية العملية ، وقد كانت الجريدة لسان حال حزب الامة تحمل لواء هذه الدعوة (٣) .

ولكن أقوى هذه التيارات كان التيار الاسلامى اذ كانت النزعة الاسلامية غالبة على القضية الجنسية والرابطة القومية فى مصر الى أوائل القرن العشرين ولذلك لم يكن المصريون يجدون غضاضة فى الاعتراف بسلطة الخليفة التركى ، وحين ثار عرابى على أساليب الحكم فى مصر وعلى تغلغل النفوذ الاجنبى لم يخطر بباله أن يخلع طاعة الخليفة ، أو يخرج عليه فهو يعرض خطواته مستمدا منه السلطة فى كل ما يفعل .

ويضع مستر بلانت فى مقدمة برنامج الحزب الوطنى الاعتراف بسلطة الباب العالى ، وبأن جلالة السلطان عبد الحميد مولاهم وخليفة الله فى أرضه وأمام المسلمين .

عاصم باشا باسناد امارة الحج اليه سنة ١٣١٣ أى سنة ١٨٩٥ م (أنظر الديوان ١/٣) أما آخر ما نشر له فهى قصائد الاخلاق والحياد ـ ثمن الحياد ـ الى الانجليز . وكلها نشرت فى ابريل سنة ١٩٣٢ أنظر الديوان ٢/١٠٧ ـ ١٠٩ .

(٣) أنظر د. محمد حسين : الاتجاهات الوطنية فى الادب المعاصر . المقدمة ص ١٠ وأنظر الكتاب نفسه ١/٨٦ .

وهذه هى المنشورات التى كان يصدرها الخديوى توفيق تستعين على تنفير الناس من غرابى بتصويره خارجا على الخلافة عاصيا أوامر أمير المؤمنين . (٤) وزعماء الوطنية المصرية الذين لاشك في اخلاصهم الوطني والذين ظلوا يكافحون في سبيل تخليص الوطن من الانجليز كانوا يرون أن الايمان بالجامعة الاسلامية والخلافة العثمانية هو الاساس والمنطلق ،فقد كانت الوطنية في ذلك الوقت مختلطة بالدين ليس بينهما ذلك الفرق المفهوم اليوم فقد كان من الصعب فصلها عنه (٥) .

والزعيم المصري الشاب يرى في السلطان عبد الحميد الثانى (١٨٤٢ - ١٩١٨) « أعظم سلطان جلس على أريكة ملك آل عثمان ووجه عنايته لابطال مساعى الدخلاء وتطهير الدولة من وجودهم » (٦) . ويغلو مصطفى كامل فيرى أن بقاء الدولة العلية ضرورى للنوع البشرى وأن فى بقاء سلطانها سلامة أمم الغرب وأمم الشرق(٧) .

وكان محمد فريد خليفة مصطفى كامل متفقا معه فى أن مصلحة مصر فى ذلك الوقت تدعو الى مؤازرتها لتركيا لأن ذلك هو السبيل الأمثل الى مناهضة المستعمرين(٨) .

لقد ساد الايمان بأن الجامعة الاسلامية هى طريق القوة ، وبأن الولاء للخلافة - الذى يعتبر الخليفة التركى رمزا لها

---

(٤) السابق ١/١ .
(٥) أنظر عمر الدسوقى : فى الادب الحديث ١/ ٣٠ .
(٦) محمد حسين ٧/٢ ش
(٧) السابق ٧ - ٨ .
(٨) السابق ١٠ .

ولاء ضروری تفرضه فكرة الايمان بضرورة قيام جامعة اسلامية تتكتل لتواجه خطر الاستعمار (٩) ٠

وقد كانت فكرة الجامعة الاسلامية التى ترى فى رابطة الدين أقوى الروابط ، وفى الخليفة العثمانى حامى حمى الاسلام والأمة الاسلامية ، وترى فى الحروب التى أثارتها الدول الاوربية وخاصة روسيا امتدادا للحروب الصليبية السابقة ٠
كانت هذه الفكرة هى المسيطرة على الشعر والشعراء ، فليس بين الشعراء المعاصرين وقتذاك على اختلافهم وتباين نزعاتهم من يخلو ديوانه من شعر مدح الخليفة التركى والاشادة بفضله على المسلمين وحرصه على اعلاء كلمة الدين ، وليس بينهم من تخلف عن المشاركة بشعره فى حروب تركيا وأحداثها الجسام مثل : حرب اليونان وحرب طرابلس وحرب البلقان والدستور العثمانى وسقوط عبد الحميد(١٠) ٠

وعلى الساحة المصرية ارتفعت أصوات عشرات من الشعراء المصريين يدعون الى فكرة الجامعة الاسلامية ويمجدون الخليفة التركى ويدافعون عن الخلافة العثمانية من أمثال أحمد محرم ومحمد عبد المطلب وأحمد الكاشف وغيرهم(١١) وكان من أعلى الأصوات وأقواها فى هذه الآفاق صوت أحمد شوقى فله مطولة بلغت مائتين وستين بيتا فى وصف الوقائع العثمانية اليونانية وهى البائية التى مطلعها ٠

---

(٩) د٠ أحمد هيكل : تطور الادب الحديث فى مصر ٩٩
(١٠) محمد حسين ١/١١ ــ ١٢ ٠
(١١) أنظر د٠ أحمد هيكل ٠ السابق من ص ١١١ الى ص ١١٧ ٠

بسـيفك يعـلو الحق والحق أغلب
ويـنصر دين الله ايان تضرب(١٢)

وفيها يتحدث عن أبوة أمير المؤمنين للمسلمين وعن جلوسه الأسعد ، ويصف بطولة الأتراك فهم :

ثمانون انفـا اسـد غـاب ضراغم
لها مخلب فيهم وللموت مخلـب
اذا حلمت فالشـــر وسـنان حالم
وان غضبت فالشر يقظـان مقضب
فيالق أفشى في البـلاد من الضحى
وأبعد من شمس النهار واقرب(١٣)

وللمرأة التركية دور كبير في المعـركة فهى تحمل اللواء ، وتخوض سعير الحرب لأنها ورثت البطولة كابرا عن كابر(١٤) وفي القصيدة نرى شوقى يخاطب السلطان عبد الحميد قائلا :

حسامك من سقراط في الخطب أخطب
وعـودك من عـود المنــابر أصـلب
وعـزمك من هومـير أمضى بديهـــة
وأحلى بيانا في القـلوب وأعذب(١٥)

وحينما ينجو عبد الحميد من محاولة لقتـله بقذيفـة في سبتمبر سنة ١٩٠٥ يبادر شوقى فيهنئه بهذه النجاة التى تعـد

---

(١٢) الشوقيات ٤٢/١ ٠
(١٣) السابق ٤٤
(١٤) أنظر الابيات ٤٨ ٠
(١٥) السابق ٤٣ ـ ٤٤ ٠

فجاة للدين والامة والناس جميعا(١٦) . وحتى في مجال وصف المشاهد الطبيعية بتركيا لا ينسى شوقي أن يطعم قصيدة بمدح أمير المؤمنين كما نرى في قصيدته الزائية المشهورة التى مطلعها :

تلك الطبيعة قف بنا يا سارى
حتى أريك بديع صنع البارى

وفيها يصف مشاهد الطبيعة في طريقه الى الاستانة قادما من أوروبا ، فيتحدث عن الحدائق والغدوان ويصف الأرض والسماء والوديان والجبال ، ويخلص من كل أولئك الى مخاطبة الخليفة بأنه « واحد الاسلام غير مدافع » ويختم قصيدته بما لا علاقة له بوصف الطبيعة مخاطبا الخليفة قائلا :

هذا مقام انت فيه محمد
أعداء ذاتك فرقة في النار
ان الهلال وانت وحدك كهفه
بين المعاقل منك والاسوار
لم يبق غيرك من يقول أصونه
صنه بحول الواحد القهار(١٧)

وحينما يلغى اتا تورك الخلافة الاسلامية وينفى الخليفة من بلاد الأتراك ينظم شوقى قصيدة يرثى فيها الخلافة ، ويطلب من المسلمين اسداء النصح لاتاتورك لعله يبنى ما هدم ، وينصف من ظلم . وفي القصيدة يصور صدى الغاء الخلافة في البلاد الاسلامية :

---

(١٦) أنظر الابيات ١/٩٢ .
(١٧) الشوقيات ٢/٤٠ .

الهنـــد والهـــة مصر حزينـــة
تبكى عليـــك بمـــدمع ســـماح
والشـام نسـال والعـــراق وفارس
أمحا من الأرض الخـلافة ماح(١٨)

لقد كان شوقى محبا للأتراك مخلصا لهم « ولعـل مرجع ذلك أن قد اجتمعت فى الأتراك عوامل كثيرة كان لشوقى اتصال بها ، فكانت لذلك تهزه أكثر ما تهزه سواه . فالترك ـ فوق أنهـم كانوا مقر الخلافة ، وقبلة المسلمين الزمنية ، وأصحاب السيادة على مصر . يجـرى دمهم فى عروق الشاعر الكبير ، ومنهم أصحاب عرش مصر ـ يومئذ ـ الذين ببابهم ولد شوقى ، وفى حماهم شب ونشا(١٩) »

ولكن ينبغى الا ننسى « الخديوى عباس » ... فهو الذى كان يدفع شوقى يمينا وشمالا وكان عباس مخلصا لتركيا وكان يزورها فى الصيف فكان شوقى يخلص لها أيضـا وكان يزورها معـه ، وتتملى عينـه بمجالى البسفور وغيـره مثـل جكسـو وهو موضع فاتن فى ضواحى الاستانة(٢٠) .

وهناك سبب آخر شخصى يرجع الى طبيعة العـلاقة بين شوقى وعبد الحميد . فقد كان شوقى على صلة بالخليفة التركى ، وكان الخليفة ينزله منه منزلة طيبة(٢١) بل كان يقـرأ شعره

---

(١٨) الشوقيات ١٠٦/١ .

(١٩) د. هيكل : مقدمة الشوقيات ١٤/١ وانظر د. ضيف: شوقى شاعر العصر الحديث ١٢٥ .

(٢٠) ضيف : السابق ٢٤ .

(٢١) د. ماهر حسين فهمى : شوقى شعره الاسلامى ٦٥ .

ويستمع اليه(٢٢) فلما اقيل عبد الحميد وأتى خلفه محمد رشاد عقد شوقى الصلة بينه وبين الخليفة الجديد كما كان يعقدها بينه وبين عبد الحميد(٢٣) ٠

فكان شوقى اذا شعر فى الترك وحروبهم والخلافة وشئونها شعرت أنه يتحدث عن قومه ، يفخر بنصرهم ، ويعتز بعزهم ، ويراعى العلاقة القوية بين عابدين ويلدز ، وبين الخديوى والخليفة(٢٤) ٠

وقد بلغ من حب شوقى للترك أن كان يعتبرهم مجموعة فضائل لا تشوبها نقيصة(٢٥) ٠

● ● ●

كان هذا فى اجمال موقف الشعراء ٠٠٠ وكان هذا بقليل من التفصيل موقف شوقى من الخلافة العثمانية والخليفة العثمانى وهو فى مجمله موقف التعاطف والحب والاخلاص والولاء والوفاء(٢٦) فماذا كان موقف حافظ ابراهيم ٠

---

(٢٢) أنظر الشوقيات ١١٠/٢ فقد صدرت قصيدة شوقى (جسر البسفور) بالعبارة الآتية : هذه القصيدة اهتم بها المغفور له السلطان عبد الحميد وطلبها وقراها باهتمام ٠

(٢٣) د٠ شوقى ضيف : شوقى شاعر العصر الحديث وأنظر مطولته فى محمد رشاد : عيد الدهر وليلة القدر الشوقيات ١٦٩/١ ٠

(٢٤) أحمد أمين مقدمة ديوان حافظ ص ٦ ٠

(٢٥) د٠ هيكل : مقدمة الشوقيات ١٥/١ ٠

(٢٦) هذا باستثناء قلة نادرة من الشعراء كان أظهرهم ولى الدين يكن ٠

لم يكن بدعا أن نرى الشاعر حافظ ابراهيم يسبح بشعره فى نفس الفلك ، ويساير به الجو الأدبى العام الذى كان يسيطر على بلاد الشرق فتعدد قصائده العثمانية كقصيدتيه فى تهنئة السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه(٢٧) وقصيدته فى عيد تأسيس الدولةالعليا(٢٨) وقصيدته الانقلابالعثمانى(٢٩) وقصيدتهعيد الدستور العثمانى(٣٠) وقصيدته تحية الأسطول العثمانى(٣١) وحرب طرابلس(٣٢) واستقبال الطيارالعثمانى فتحى بك(٣٣) وقصيدته فى رثاء الطيارين العثمانيين فتحى وصادق(٣٤) ·

ويكاد يلتقى مع شوقى ومحرم والكاشف وعبد المطلب وغيرهم فى نظرة التقدير بل التقديس للخلافة العثمانية وتعظيم السلطان التركى وتمجيد بطولة الجيوش العثمانية والنعى على مخالفى السلطان والازراء بمعارضيه ··· وهى معان تكاد ترتفع الى القيم الدينية والأخلاقية التى يؤمن بها المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها ·

فالدولة العثمانية هى « دولة الله فى الأرض » ، وسلاطينها أئمة لهم رسالة مقدسة هى الدفاع عن الاسلام وحمايته ومد سلطانه فى كل الآفاق · يقول حافظ :

---

(٢٧) ديوان حافظ ١/١٥ ، ٤٤ ·
(٢٨) الديوان ٢/١٧ ·
(٢٩) السابق ٤٣ ·
(٣٠) السابق ٤٨ ·
(٣١) السابق ٦٢ ·
(٣٢) السابق ٦٦ ·
(٣٣) السابق ٧٦ ·
(٣٤) السابق ١٧٩ ·

لقد مكن الرحمن فى الأرض دولة
لعثمان لا تغفو ولا تتشعب
بناها فظنتها الدرارى منازلا
لبدر الدجى تبنى ولسعد تنصب
وقام رجال بالامامة بعده
فزادوا على ذاك البناء وطنبوا
وردوا على الاسلام عهد شبابه
ومدوا له جاها يرجى ويرهب(٣٥)

والجيش التركى هو أعظم جيوش الدنيا وأقواها وأقدرها على احراز النصر وكسر الاعداء وجنوده :

يمشون فى حلق الحديد الى العدا
وكأنهم سبد من الافسان
وكأن مقدمهم اذا لمع الضحى
سيل من الهندى والمران
ليتواقعون على الردى وصفوفهم
رغم الوثوب كثابت البنيان(٣٦)

والاسطول التركى دليل على سعة سلطان آل عثمان الذين :

ملكوا البر فلما لم يسع
مجدهم نالوا من البحر المراما(٣٧)

---

(٣٥) ديوان حافظ ٢/١٧ .
(٣٦) ديوان حافظ ١/٤٤ .
(٣٧) السابق ٢/٦٣ وواضح أنه متاثر بقول عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتى ضاق عنا
وماء البحر نملؤه سفينا

(أنظر شرح المعلقات السبع للزوزنى ص ١٣٥) .

وهـذا الاسـطول (ترمى دونه قوة وراء وأماما) لانـه رسالته الاولى ترتبط بالدين والوطن فهو :

يكلأ الشـرق ويـرعى بقعـة
رفـع الله بهـا البيت الحـراما
وثغـور هـى أبهـى منظـرا
من ثغـور الغيـد يبـدين ابتساما
خصـها الله بأفـق مشـرق
ضم في الآلاء مصـر والشـآما (٣٨)

والخروج على الدولة والخليفة يعد خروجا على الاسلام وعصيانا لأمر الله (٣٩) .

● ● ●

ويهمنا اكـثر من كل أولئـك أن ننظـر موقف حافـظ من السلطان عبد الحميد الذى حكم اكثر من ثلاثين عاما ، وعاش حافـظ سنوات انتصـاراته وسـنوات انكسـاراته الى أن عـزل سنة ١٩٠٩ .

---

(٣٨) الديوان ٦٣/٢ .
(٣٩) يخاطب حافظ السلطان عبد الحميد مشـيرا الى حزب تركيـا الفتـاة :
فدي لك يا عبد الحميـد عصـابة
عصت أمر باريهـا وحزب مذبذب
(الديوان ١٧/١) وأنظـر أبيـاته فى ذم والى الحجـاز وشريف مـكة اللذين خرجا على الخـلافة وسلطـان الـدولة التركيـة ٤٩/١ .

لم يكن لحافظ من الخليفة التركى موقف واحد ثابت ذا طبيعة واحدة تصدر عن الحب والوفاء على طول الخط كشوقى ، أو يحكمه الكراهية والبغضاء والنفور والعداء على طول الخط كولى الدين يكن ، ولكن طبيعة موقف حافظ أو بتعبير أدق مواقفه ارتبطت بوضع السلطان عبد الحميد قوة وضعفا على ما سنعرف بشىء من التفصيل ... وتتلخص هذه المواقف فى ثلاثة :

(أ) التعظيم والاجلال والتوقير .
(ب) النقد الخفى والهجاء غير المباشر .
(ج)السخرية والشماتة والهجاء المر .

والموقف الاول لا يختلف كما قلنا عما كان سائدا فى الساحة الأدبية آنذاك من تعظيم الخليفة حامى حمى الامة والحق والاسلام ، وقد ظهرت هذه النبرة واضحة بصفة خاصة فى قصيدتى الجزء الأول بتهنئة السلطان بعيد جلوسه(٤٠) وعيد تأسيس الدولة العلية(٤١) .

فهو يغلو ويسرف ويخلع على عبد الحميد من الصفات ما يجعل منه ظل الله على الأرض . يقول حافظ :

تجلى على عرش الجلال وتاجه
يهش وأعواد السرير ترحب
سما فوقه والشرق جذلان شيق
لطلعته والغرب خذلان يرقب

---

(٤٠) ج ١ ص ١٥ ، ٤٤ .
(٤١) ج ٢ ص ١٧ .

فقـام بأمـر الله حـتى تـرعرعت
به دوحة الاسـلام والشرك مجدب
وقـرب بـين المسـجدين تقـربا
الى الملـك الأعلى فنعـم المقـرب
وكم حـاولوا فى الأرض اطفاء نوره
واطفاء نورالشمس من ذاك أقرب(٤٢)

● ● ●

فلما خلع عبد الحميد سـنة ١٩٠٩ على أيـدى الكماليـين وتولى بعده محمد رشاد أو السلطان محمد الخامس ٠ ينشىء حافظ ابراهيم قصيدة من واحد وخمسين بيتا كانت مزيجة من الاشفاق والشماتة ، من التوقير والازراء ، من التقريظ والنقد ٠٠ ولكننا نحس أن حافظ أميل الى جانب النقد والازراء والشماتة حتى لو ادعى أنه « بات يبكى عليـه » وأن عبد الحميد خالـد « رغم أنف الليالى » شأن « كبار الرجال أهـل الخلود » وأن ذخره عند الله باق « ان ضاع ذخره عند العبيد » بل اننا لنحس بنبرة الهجاء ابتداء من البيت الثانى من القصيدة حتى يصف عبد الحميد بأنه :

مشبع الحـوت من لحـوم الـبرايا
ومجيع الجنود تحت البنود(٤٣)

---

(٤٢) الديوان ١٦/١ ٠

(٤٣) الديوان ٤٣/٢ يشير حافـظ بذلـك الى ما ردده بعضهم من أن عبد الحميد كان يلقى بأعدائه فى البوسفور والى ما كان يقاسيه الجيش التركى من شظف العيش ٠ وانظر قصيدة شوقى فى محمد رشاد بعنوان (عيد الدهر وليلة القدر) ١٦٩/١

وهو يحذر رجال الانقلاب أن يسلكوا مسلك السلطان عبد الحميد فيخاطبهم قائلا :

بت أخشى عليكم أن يقولوا
إن أثرتم من كامنات الحقود
كان عبد الحميد بالأمس فردا
فغدا اليوم ألف (عبد الحميد) (٤٤)

ويستحضر حافظ صورة نابليون أو أسير (سنت هيلين) ، ويطلب منه أن يسأل عبد الحميد أو أسير (سالونيك) كيف لم تستطع عدته وجنوده أن تحميه وتفديه :

قل له كيف كنت ؟ كيف امتلكت الـ
أرض ؟ كيف انفردت بالتمجيد
فثللت العروش عرشا فعرشا
صبغت الصعيد بعد الصعيد (٤٥)

ولا يكتفي حافظ بهذا بل تعلو نبرة تهكمه بعبد الحميد فيرى أنه أسعد حالا من نابليون وأسعد حالا من « بايزيد » الذي أسره تيمور لنك ، وسجنه في قفص الى أن مات ، وأن الأسر يعد انقاذا له من عقدة الخوف والشك والرعب التي لازمته وهو في قصره يتوهم أن أعداءه يترصدون له ، ويطلبونه ، ويضيقون عليه الخناق . فيقول :

كان عبد الحميد في القصر أشقى
منه في الأسر والبلاء الشديد

(٤٤) السابق ٤٤ .
(٤٥) السابق ٤٥/١ .

كـان لا يعـــرف القـــرار بليـــل
لا ولا يســـتلذ طعـــم الهجـــود
حـــذرا يــرهب الظـــلام ويخـشى
خطــرة الــريح أو بكاء الوئيــد(٤٦)

ويمضى حافظ فى بقية قصيدته معرضا بعبد الحميد مشيرا الى ما نقل عنه من أنه بكى عند عزله وأن هذا لا يليق بالملوك أصحاب المجد والسؤدد والعز ٠٠ الخ ٠

وعلى الرغم من كل ذلك فقد جعلنا ما قاله حافظ من قبيل النقد غير المباشر والهجاء غير الصريح لأنه استعان بأسلوب الحذر والاحتراس فى كل ما خلع على عبد الحميد من الفاظ زرية ٠

فهو حينما يتحدث عن أثرعزل عبد الحميد فى الرعية قائلا :

فـرح المسـلمون قبـل النصـارى
فيـك قبـل الـدروز قبـل اليهـود

يتبع ذلك بقـوله :

شمتـوا كلهـم وليس مـن الهمـ
ـة أن يشمت الورى فى طريد(٤٧)

وهو - حتى يملك خط الرجعة دائما لا يقطع ولا يجزم ، بل ينسب ما روى عن نقائض عبد الحميد وأخطائه الى مجاهيل من الرواة ويستخدم أسلوب الاستفهام ، فقد كانت قلوب المسلمين ما زالت تخفق مع عبد الحميد ٠ يقول حافظ :

---

(٤٦) السابق نفس الصفحة ٠
(٤٧) السـابق ٤٣/١ ٠

أصحيح ما قيل عنك وحق
ما سمعنا من الرواة الشهود
أن عبد الحميد قد هدم الشر
ع وأربى على فعال الوليد(٤٨)
أصحيح بكيت لما اتي الوفـ
ـد ونابتك رعشة الرعديد(٤٩)

● ● ●

ولم تمض الا أيام قلائل حتى يخلع حافظ عنه ثوب الاحتراس ويهتك قناع الحذر فينطلق الى طرف النقيض مسرفا فى هجاء عبد الحميد اسرافا أشد وأعتى من اسرافه فى مدحه والتهويل فى ثنائه عليه . فيقول مظهرا له شماتته فى عبد الحميد وهو يتحدث عن جوانب قصره المشهور « يلدز » .

أبيح حماها وانطوى مجد ربها
وقامت على البيت الحميدى نوائبه
ولن يغن عن عبد الحميد دهاؤه
ولا عصمت عبد الحميد تجاربه
ولم يحمه حصن ولم ترم دونه
دنانيره والآمر بالامر حاز به
ولم يخفه عن اعين الحق مخدع
ولا نفق فى الأرض جم مسارب به

---

(٤٨) هو الوليد بن زيد بن عبد الملك المشهور بفجوره وفسقه .
(٤٩) السابق ٤٦ .

واخـــرجه مـــن يـــلدز رب يـــلدز
وجـــرده من سيف عثمـــان واهبـــه
واصبح في منفـــاه والجيش دونـــه
يغـــالب ذكـــرى ملـــكه وتغالبـــه
ينـــاديه صوت الحق ذق ما أذقتهم
فكل امرىء رهن بما هو كاسبه(٥٠)

ويكثف حافظ حكمه النهائي على عهد عبد الحميد في بيت واحد فيقول :

مضى عهد الاستبداد واندك صرحه
وولت افاعيـــه ومـــاتت عقـــاربه

● ● ●

وقد يدافع عن حافظ بأن طبيعة الموضـوع وهو (عيـد الدستـور العثماني)(٥١) تقتضي الحـديث عن عهـد ما قبـل الدستور أي عهد عبد الحميد ، واذا صح هذا المقتضى فهو معدوم في قصيدة نشرها بعد ذلك بأشهر يحيى فيها العام الهجـرى عام ١٣٢٨ هـ (ينـاير ١٩١٠)(٥٢) ويصر على ابراز شـماتته في عبد الحميد فيقول :

وادال من عبـــد الحميـــد لشعبه
فهوى وحاول أن يعـود فاخفقـــا
امسى يبـــالي حارســا من جنـــده
ولقـــد يكون وما يبـــالي الفيلقـــا

---

(٥٠) الديوان ٥٢/٢ ٠
(٥١) انشد حافظ هذه القصيدة في الحفل الذي أقيم في حديقة الازبكية في مساء الجمعة ٢٣ من يوليه سنة ١٩٠٩ ٠
(٥٢) الديوان ٥٨/٢ ٠

أما الاتحـاديون من أمثـال شوكت ونيـازى وأنور الذين خلعـوا عبد الحميد فهم « رجال من الايمان مـلأى نفوسـهم » وأحدهم وهو شوكت يشبه ـ فى نظر حافظ عمر بن الخطاب .. وقد قاموا بالانقلاب حرصا على احقاق الحق والقضاء على الظلم والاستبداد يقول حافظ :

اذا شـوكت الفـاروق قـام منـاديا
الى الحق لبـاه نيازى وصاحبه
ثلاثـة آسـاد يجانبهـا الـردى
وان هى لاقاها الـردى لا تجـانبه
يصـارعها صرف المنـون فتلتـقى
مخاليهـا فيـه وتنبـو مخالبـه
روت قول بشـار فثـارت واقسمت
وقامت الى عبـد الحميـد محاسبة
اذا الملك الجبـار صعر خـده
مشـينا اليه بالسيوف فعاتبه(٥٣)

● ● ●

ولنرجع البصر عودا على بدء استخلاصا أو تلخيصا لموقف حافظ من العثمانية ومتعلقاتها من أنصار أو أعداء .
وخلاصة كل اولئك يتمثل فيما ياتى :

١ ـ ليس فى شعر حافظ ما ينكر أصل مسالة الخـلافة بل هو يدعو لها ويثنى عليها ، ولم ينقض عراها بكلماته حتى وهو يهجو عبد الحميد بعد خلعه . فهى دولة (مكن لها الرحمن) وخلفاؤها (ائمة هدى وحماة اسلام) .

---

(٥٣) الديوان ٢/٤٩ .

٢ ـ مدح حافظ السلطان عبد الحميد وغلا فى مدحه وتعظيمه فى شعره فلما خلع ذمه وأظهر شماتته فيه وسخريته به .

٣ ـ فى خلافة عبد الحميد يهنئه حافظ بعيد جلوسه (سنة ١٩٠١) ويصف معارضيه وخصوصا أعضاء حزب تركيا الفتاة بأنهم (عصابة عصت أمر باريها وحزب مذبذب) (٥٤) .

وبعد خلع عبد لحميد أصبحت هذه العصابة فى نظر حافظ رجال حق وايمان ووطنية حتى شبه بعضهم بالفاروق عمر (٥٥) .

٤ ـ ثم أصبح يكيل بعد ذلك الاماديح للخليفة محمد رشاد بالكلام التقليدى المزوق على طريقته التقليدية مع عبد الحميد فى أول الامر كقوله :

نهنىء أمير المؤمنين محمدا
خلافته فالعرش سعد كواكبه
ستملك أمواج البحار سفينة
كما ملكت شمم الجبال كتائبه
ممالكه محروسة وثغوره
ركائبه منصورة ومراكبه

٥ ـ فلما ألغيت الخلافة نهائيا سنة ١٩٢٤ لم تقض قريحة حافظ بكلمة واحدة يبدى فيها معارضة أو تأييدا أو توقفا عن الرفض أو التأييد شأنه فى كثير من القضايا الاجتماعية التى عرض لها .

فبماذ تفسر كل هذا الفيض من التناقضات التى حفل بها شعر حافظ فى موقفه من العثمانية ؟

---

(٥٤) أنظر الديوان ١٧/١ .
(٥٥) أنظر الديوان ٥٣/٢ .

وللاجابة على هذا السؤال نجد لزاما علينا ان نقرر حقيقة يستطيع كل من يقرأ شعر حافظ العثمانى وخصوصا ذلك الذى يتعلق مباشرة بالخلافة والخليفة انه شعر فى أغلبه بارد لا يهز وترا من قلب ولا خالجة من احســاس ، ومعانيــه كلها تقليدية مطروقة تعتمد على البهرجة والتهويل ، لأنه كلام لم يصدر عن حب حقيقى وولاء عميق .. انه مجرد مسايرة للجــو العام من ناحية ، وللجو الأدبى من ناحية أخرى . فهذا الولاء الذى أظهره حافظ للخلافة مشيدا بالسلطان العثمانى وبأفضل العثمانيين كان من أهم مصادره ذلك الشعور العام الذى أوجده النزاع بين السلطة المحتلة والمصريين فلكى يدفع القوم عنهم قوة الاحتلال أو يخففوا من اثره النفسى عليهم أخذوا يوحون الى انفسهم أنهم جزء من الدولة العليا ، وأنهم رعايا مولانا السلطان وليس لأحد بهــذا الوضع أية سيادة أو نفــوذ عليهم فلم يكن من حسن الســياسة أو أصالة التدبير أن يقاوم المصريون النفوذ العثمانى الى استقلال بلادهم عن الخلافة ، وهم يرون تحت أبصارهم مركز الاحتلال البريطانى فى بلادهم(٥٦) ولا كذلك ما نظمه شوقى فى الخلافة والخليفة التركى .. لقد كان سمفونية وفاء ظلت تتردد نغماته على مستوى فنى واحد فى سراء الخلافة وضرائها .. فى منشطها ومكرهها على سواء .

فلما الغى مصطفى كمال الخلافة سنة ١٩٢٤ قابل شوقى هذا القرار بالعويل المرير وهو الذى كان يجمع الدول الاسلامية فى هالة واحدة مركزها دولة الخلافة التى دافع عنها ، وكان أول

---

(٥٦) حافظ ابراهيم الشاعر السياسى : رفائيل مسيحة ١٧

ذائد عن حوضها . أما بعد الغائها فيصرخ بمرارة حين يرى العقد بنفرط ويتخيل الدولة الاسلامية كلها فى مناحه(٥٧) .

ولا كذلك ما نظمه حافظ فى ذم الخليفة العثمانى والتهكم عليه والسخرية منه .. هو شعر تحس فيه صدق التشفى . . . وعتو النقمة كأنه كان بينه وبين عبد الحميد تفور وتثور . . . واعتقد أن تعليل ذلك يكمن فى تحليل مجموعة من العلائق وتحديدها وأهمها : العلاقة بين حافظ وشوقى فالبون كان شاسعا بين الشاعرين : بؤس هنا وغنى هناك .. اخفاق على طول الخط هنا وتوفيق على طول الخط هناك حافظ «ابن البلد» يعاشر الناس وجلهم من العامة والسوقة .. شوقى ان لم يكن اميرا فهو كالامير ... يعيش عيشة الامراء ، ولا عجب فقد ولد بباب اسماعيل .. وكان شوقى على صلة مباشرة بالسلطان عبد الحميد الذى كان يعتز به وينزله منه منزلة طيبة كما المحنا من قبل . ولم يكن لحافظ مثل هذه الحظوة وربما قضى لحافظ ولم يسمع به السلطان عبد الحميد . ولقد حاول حافظ أن يتقرب من خليفة المسلمين ويلتقى به فى الاستانة فحيل بينه وبين ذلك(٥٨) . فلم ينل منالا من جانب الخلافة فضاع شعره فيها كما ضاع من قبل فى الامارة . و قيل فى بعض الانباء أن اليد التى أبعدته عن ذلك لم تدعه ينعم بأمله الجديد فسدت عليه

---

(٥٧) ماهر حسن فهمى : شوقى شعره الاسلامى ٦٣ وأنظر الشوقيات ١٠٥/١ وانظر كذلك د. أحمد هيكل : دراسات أدبية ص ١٥٣ .

(٥٨) عبد الحميد الجندى : حافظ ابراهيم ص ٧٧ .

السبيل بعد أن عمل بعض الاصدقاء والانصار لتمهيده وبعد أن اوشك الشاعر العاثر الجد أن يظفر بحاجته ويقع على أمنيته (٥٩) .

وبقدر ما كان شوقى يشعر بهذه المكانة كان حافظ يشعر ولا شك بنوع من الضياع المادى والادبى . وربما كانت مدائحه المصطنعة للسلطان عبد الحميد محاولات « للبحث عن مكان » وربما كانت مسايرة الجو العام ، ثم واتته الفرصة ليكون صادقا مع نفسه ويستوفى ثأره من الخليفة العثمانى الذى لم ينزله من نفسه مكانة طيبة كما فعل مع شوقى ... بل ليأخذ ثأره الادبى من شوقى الذى احتل مكانه . ربما اعتقد حافظ أنه أجدر بشوقى منها ، أو على الاقل حقيق بمشاركته فيها ... ومن ثم جاءت شماتته ... قاسية قاصمة ولكنها صادقة ... بل هى من أصدق ما نظم حافظ فى حياته لانها ترجمان لأحاسيس مكبوتة من مدى طويل أبانت عن نفسها حين وجدت الوقت مناسبا .

ويرى الدكتور الجندى فى كتابه عن حافظ أن هذه المواقف المتناقضة التى كان يضطرب فيها حافظ ترجع الى أمرين :

الاول : أنه كان رجلا تغلب عليه طبيعة الخطيب الشعبى ولهذا كان يميل الى مجاراة التيارات القوية التى تسيطر على الجماهير ، فهو دائما أبدا يساير النزعات الشعبية التى تتناقض ولا تستقر على حال .

والثانى : أنه كان رجلا مذعور القلب يرى السلامة فى

---

(٥٩) أحمد محرم حافظ ابراهيم فى الميزان ص ١٢٦٩ من مجلة ابولو يوليو ١٩٣٣ وهذه الدراسة من ص ١٢٦٥ الى ص ١٢٩٧ .

ممالأة ذوى السلطان حتى اذا دالت دولتهم انقلب عليهم وشيعهم بالذم والشماتة واستقبل خلفاءهم بالمديح والاطراء(٦٠) .

ولا شك ان شعور حافظ ابراهيم بالشماتة بالغاء الخلافة العثمانية لم يكن يقل عن شعوره بالسعادة والشماتة لعزل عبد الحميد ، ولكنه لم يفصح عن شعوره هذا بقصيدة أو كلمة ولو فعل ذلك لفجع الناس فيه ولصدم مشاعر عامة المسلمين وعامة الشعب المصرى الذين لما علموا بنبأ الغاء الخلافة « هالهم الخطب وغلبهم الجزع وأمضتهم خيبة الرجاء »(٦١) .

● ● ●

كان هذا هو حديث حافظ عن الشخصيات الدينية ابتداء من أنبياء الله ورسله ، وانتهاء بشخصيات عاصرها حافظ ، وقد ألقينا الضوء على مواقفه من هذه الشخصيات ، ومنهجه فى ابراز ملامحها مع موازنة مواقفه تلك بمواقف شوقى بقدر ما تسمح به الحال .

وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه من الشخصيات التى تناولها حافظ بالتجلة والتعظيم فى شعره وكان ذلك فى أبيات مفردة . ولكنه لم يكتف بذلك بل نظم مطولته المشهورة التى كان لها دوى هائل وأثر عظيم فى بعض الشعراء ، لذلك آثرنا أن تستقل بفصل كامل ، هو الفصل الثانى .

---

(٦٠) الجندى : حافظ ابراهيم ١٧٣ .
(٦١) على الجندى ناصف : الدين والاخلاق فى شعر شوقى ٢١٢ .

الفصل الثاني

عمر بن الخطاب والمطولة العمرية

[illegible]

[illegible]

العمرية *

هى أطول قصيدة نظمها شوقي [حافظ] فى حياته ... وهى من أطول القصائد فى الشعر الحديث كله وقد بلغت مائة وسبعة وثمانين بيتا على وزن واحد وقافيه واحدة . وقد أنشدها فى حفل أقيم خصيصا لسماعها بمدرج وزارة المعارف بدرب الجماميز مساء الجمعة ٨ من فبراير ١٩١٨ ، وكان حافظ يعطى نظم هذه القصيدة اهتماما خاصا ويحاول أن يهيىء لنفسه الجو الذى يمكنه من نظمها واستيفائها ، وقد استغرق نظمه لها بضعة أشهر أو قرابة عام(١) . وقد استقبلها الناس استقبالا طيبا ووعدهم الشاعر أن يقدم لهم قصائد من طرازها وان لم يبر الشاعر بوعده الذى قطعه على نفسه(٢) . وتلقفتها الجماهير منشورة فى الصحف ... وتاثر بها الشعراء فنظم على طريقتها

---

* الديوان ١/٧٧ .

(١) كتب خليل مردم نقلا عن فؤاد الخطيب : « .. كان حافظ سنة ١٩١٧ قد أخذ فى نظم هذه القصيدة ولم يفرغ منها بعد ، وكنا اذا اجتمعنا اذ ذاك نركب عربة ويقول حافظ للسائق : اذهب بنا حيث شئت ولكن خلصنا من الضجيج ، ويبدأ حافظ ينشد هذه القصيدة من أولها الى المكان الذى انتهى عليه ـ وكان من أحسن خلق الله انشادا للشعر ـ فاذا أسرع السائق قال له حافظ « يا أسطة واحدة واحدة » يعنى خفف السرعة »

(ص ٥٤٢ من مقال حافظ ابراهيم على سجيته للاستاذ خليل مردم . مجلة المجمع العلمى العربى (دمشق) جـ٤ م٣١)

(٢) أنظر د. كامل جمعة : حافظ ابراهيم ما له وما عليه ٣٠٨ .

عبد الحليم المصرى الشاعر قصيدة فى أبى بكر الصديق ونظم الشيخ عبد المطلب قصيدة فى على بن ابى طالب ونظم غيرهما فى هذا الصدد قصائد أخرى فى أبطال قدماء ومعاصرين(٣) ولا يستبعد الدكتــور زكى مبارك أن تكون هى مصــدر الوحى للشاعر أحمد محرم فى الالياذة الاسلامية(٤) .

ولا ينقض هذا ما ذكره محمد ابراهيم الجيوشى فى كتابه عن أحمد محرم ص ٦١ من أن الذى دفع أحمد محرم الى نظم ديوان مجد الاســلام خطاب بعث به اليه السيد محب الدين الخطيب يعرض عليه فكرة النهوض بتسجيل مفاخر الاسلام ، والتوفر على نظمه وقائعه حتى يتكون من مجموعها « اليــاذة اسلامية » فالاستجابة لهذا النداء لا يمنع استيحاء محرم عمرية حافظ ... على أن تعدد البواعث والدوافع فى العمل الواحد أمر لا يستبعد عقلا وعادة .

وقد استهل حافظ مطولته بدعاء الى الله أن يهبه قــدرة البيان وسرى المعانى وفصيح القول ما يمكنه من قضاء حق عليه لم يف به أحد وهو نظم سيرة عمــر بن الخطــاب رضى الله عنــه .

وقد قسم حافظ العمرية الى اقسام مختلفة الطول كل قسم يدور حول فكرة أو مرحلة أو واقعة فى حياة عمر رضى الله عنه وأعطى لكل قسم عنوانه الدال عليه على الترتيب الآتى :

مقتل عمر ـ اسلام عمر ـ عمر وبيعة أبى بكر ـ عمر وعلى ـ عمر وجبلة بن الابهم ـ عمر وأبو سفيان ـ عمر وخالد

---

(٣) أحمد محفوظ : حياة حافظ ٢١٨ .
(٤) زكى مبارك : حافظ ابراهيم ٥١ .

ابن الوليد ـ عمر وعمرو بن العاص ـ عمر وولده عبد الله ـ عمر ونصر بن حجاج ـ عمر ورسول كسرى ـ عمر والشورى ـ مثال من زهده ـ مثال من رحمته ـ مثال من تقشفه وورعه ـ مثال من هيبته ـ مثال من رجوعه الى الحق ـ عمر وشجرة الرضوان ـ الخاتمة ٠

وقد جاءت هذه الخاتمة ليكشف فيها حافظ عن الباعث أو الهدف الذى حدا به الى نظمها وهو هدف تربوى أخلاقى يتلخص فى أمله أن يكون مثلا أعلى للناس بعامة وللشباب بخاصة بحيث يتأثرون مناقبه ، ويتخذون من هذا الماضى المضىء منطلقا لحياة طيبة فى الحاضر والمستقبل ! وفى ذلك يقول :

هـذى مناقبـه فى عهـد دولتـه
للشـاهدين وللاعقـاب أحكيهـا
فى كـل واحـدة منهن نابـلة
من الطبائع تغـزو نفسى واعيهـا
لعـل فى أمـة الاسـلام نابتـة
تجـلو لحـاضرها مـرآة ماضيهـا
حتى ترى بعض ما شـادت أوائلها
من الصروح وما عانـاه بانيهـا
وحسبها أن ترى ما كان من (عمر)
حتى ينبه منهـا عـين غافيها(٥)

وهذا الهدف ـ بهذا المفهوم ـ الذى حدده حافظ ٠ ٠ ٠ هدف عام لا يختص بهذه العمرية وحدها بل هو الهدف التربوى أو الاخلاقى الذى يتفياه كل من كتب التاريخ بصفة عامة وسيرة

---

(٥) الديوان ٩٧ ٠

الصالحين والاتقياء من القادة والزعماء والمصلحين من الناس بصفة خاصة .

وهو ما نص عليه ابن خلدون فى مقدمته اذ عرف التاريخ والغاية منه بقوله : « هو فن عزيز المذهب جم الفوائد شريف الغاية : اذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الامم فى أخلاقهم والانبياء فى سيرهم والملوك فى دولهم وسياستهم حتى تتم فائدة الاقتداء فى ذلك لمن يرومه فى أحوال الدين والدنيا »(٦)

وغير ما ذكرنا لا نستطيع أن نقطع بسبب ظاهر لنظم هذه المطولة فقد يكون الدافع ـ كما ذهب بعض من كتب عن حافظ هو : « اعجاب حافظ الشديد بالخليفة لعظيم مفخرة الاسلام والمسلمين ، وقد تكون القصيدة نفحة روحية أضفتها عليه صحبته لزعيم الشرق والاسلام الامام محمد عبده »(٧)

● ● ●

ولا شك ان معايشة حافظ للامام محمد عبده وايمانه الواثق به اماما وعالما ومصلحا كان له أثر كبير ـ بالوعى أو باللاوعى ـ فى شعر حافظ ، وما ظهر فيه من طوابع دينية لا تجاهه الى نظم العمرية دون غيرها .

---

(٦) مقدمة ابن خلدون ١٢ .

(٧) د. عبد الحميد سند الجندى : حافظ ابراهيم شاعر النيل ١٤٨ . وعلى الرأى نفسه الاستاذ حسن كامل الصيرفى الذى يقول : « وهذه القصيدة لعلها من آثار صحبة حافظ للامام محمد عبده ظلت حبيسة حتى وجدت فرصة تكوينها » (حافظ وشوقى ٧٠) .

قد يكون السبب فى نظم هذه المطولة التاريخية هو الحرص على « اثبات الوجود الذاتى .. وذلك يحتاج إلى شيء من التفصيل :

كان حافظ يرى فى نفسه أنه أكبر شاعر فى مصر لا يفضله الا شوقى(٨) ، فيقول من قصيدته التى نظمها سنة ١٩٠١ :

قل للالى، جعلوا للشعر جائزة
فيم الخلاف ؟ ألم يرشدكم الله
انى فتحت لها صدرا تليق به
ان لم تحلوه فالرحمن حلاه
لم اخش من أحد فى الشعر يسبقنى
الا فتى ما له فى الشعر الاه
ذاك الذى حكمت فينا براعته
وأكرم الله والعباس مثواه (٩)

فحافظ يجهر بأنه خير شاعر فى مصر اذا استثنى شوقى ، ولعله كان يرى فى أعماق نفسه أن شوقى لم يفضله بشاعريته ، وانما فضله بقربه الى القصر وأنه شاعر الامير ، ولولا ذلك لما فضله ، ويشير الى هذا المعنى من طرف خفى اذ يقول :

ذاك الذى حكمت فينا براعته
وأكرم الله والعباس مثواه(١٠)

لقد رأى حافظ كيف بدأ شوقى حياته الفنية باخضاعها للخديو ومدائحه وما زال حتى حقق أمنيته ، فعاش له حتى

---

(٨) مقدمة أحمد أمين لديوان حافظ ج ٢٥/١ .
(٩) ديوان حافظ ٢١٣/١ .
(١٠) مقدمة أحمد أمين ٢٦/١ .

فى غزله ووصفه للخمر ، اذ تراه يضعها فى مقدمات مدائحه ، ولا يفرد بمقطوعات خاصة الا نادرا ، فحتى فى شعره الشخصى لم يكن فيه لنفسه وانما كان يفكر فيه لاميره ، وفصل عن هذا الامير وقصره ، ومع ذلك لم يعد الى نفسه(١١) .

وقد يؤيد هذا النقد الخفى فى بيت حافظ ما ختم به حافظ قصيدته الطويلة التى انشدها فى مهرجان تكريم شوقى فى ٢٩ من أبريل سنة ١٩٢٧ اذ يقول مخاطبا شوقى :

فان كنت قوالا كريما مقاله
فقل فى سبيل النيل والشرق أو دع(١٢)

وحافظ هو « شاعر النيل » وهو « شاعر الشعب » ولهذا كانت شهرته وفى هذا المجال برزت شاعريته ... وكانى به يرى أن هذا هو المجال الحقيقى الذى يرجح شاعرية الشاعر ويجعل من مثله مقدما على شوقى « أمير القوافى » أو « أمير الشعراء » حتى لو اعترف حافظ ظاهرا بذلك :

« وما من شك أن حافظ كان ينظر الى شوقى فيراه يصول ويجول فى ميدان التاريخ الفسيح فيبدع ويجيد ، فأراد أن يجرى فى غباره وبخاصة بعد أن نظم شوقى مطولته المشهورة « نهج البردة » فنظم « عمريته » ليبين أنه ليس أقل استظهارا لامور التاريخ من زميله »(١٣) .

فكأنما أراد حافظ أن يثبت وجوده الذاتى فى هذا المجال

---

(١١) شوقى ضيف : شوقى شاعر العصر الحديث ٣٩ .
(١٢) ديوان حافظ ١/١٣٠ .
(١٣) الجندى : السابق ١٤٩ .

الذى أجاد فيه شوقى وابدع ٠٠ فقدم عطاء باهرا فى نهج البردة والهمزية وقبل ذلك مطولته الرائعة ٠٠٠ كبار الحوادث فى وادى النيل(١٤) التى قدم بها دليلا ساطعا على مدى احساسه بتاريخ وطنه وتراث أمته ٠ ٠ ٠ اذ يعرض للخطوط العامة لحركة التاريخ المصرى بشكل ينبىء عن مدى المامه بحوادث هذا التاريخ على مر العصور ، ويسرد فيها تاريخ مصر الاسلامية منذ فتحها عمرو بن العاص ٠٠ وهذه المطولة بالذات تكشف عن مدى اهتمام شوقى بالتاريخ واحتفائه به من ناحية ، وعن مدى اطلاعه على أحداث التاريخ من ناحية ثانية فضلا عن فهمه للدور الحضارى للتاريخ من ناحية ثالثة(١٥) ٠

● ● ●

وأعود فأقول مرة أخرى أن هذا التعليل الاجتهادى قد يصح مبررا لاتجاه حافظ الى الشعر التاريخى ٠ ولكن يبقى بعد ذلك السؤال الذى طرحناه من قبل وهو لماذا اتجه الى عمر بن الخطاب بالذات لينسج هذه المطولة ؟

لقد كان حافظ معجبا بشخصية عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — وقد نال من شعره فى سياق قصائده الاخرى من الاشارات والتنويهات أكثر من غيره من الخلفاء ٠٠ ثم جاءت مطولة « العمرية » لتؤكد هذا الحب وذاك الاعجاب ٠ ٠ ٠

---

(١٤) الشوقيات ١٨/٢ ٠

(١٥) قاسم عبده قاسم الشعر والتاريخ (فصول ص ٢٤٠ « المجلد الثالث ، العدد الثانى ، يناير ، فبراير ، مارس ١٩٨٣ ») ٠

ويحتاج ذلك الى وقفة مع حافظ ابراهيم ثم وقفة مع شخصية عمر بن الخطاب ...

وخلاصة ما نريد أن نقوله فى وقفتنا مع حافظ أنه كان يشعر بنوع من الظلم أو الضياع الاجتماعى . لقد كان الرجل يعتقد أنه أشعرمن فى الساحة الادبية بعد أستاذه البارودىطبعا ، والابيات التى قالها والتى قد تحمل فى ظاهرها اعترافا بتفوق شوقى عليه ... هذه الابيات فيها من الشكوى والنقد الاجتماعى المر أكثر مما فيها من الاعتراف الذىيمكن أن يقتنع به القارىء :

- فهو يرى أحق الناس بجائزة الشعر ، وتقدير الناس

- وهو لم يقطع بأسبقية شوقى وتفوقه عليه انما هى مجرد خشية منه أن يحدث ذلك .

- ولو حدث ذلك فمرجعه ليس « عبقرية شوقية » انما هو نوع من « التحكم الاميرى » أو ان شئت فقل قصر نظر الحاكم الـذى

يحسب الشحم فيمن شحمه ورم

وقد ذكر حافظ فى صورة ضمنية تعريضية فى قصيدته التى القاها فى مهرجان « أمير القوافى » بقوله :

نمتـك ظـلال وارفـات وانعـم
ولـين عيـش فى مصـيف ومربـع
ومن كان فى بيـت المـلوك تواؤه
ينشأ على النعمى ويمرح ويرتع(١٦)

(١٦) ديوان حافظ ١٢١/١ .

فكأنه يريد أن يقول «ليس بيد شوقى ولكن بيد عمرو» ٠٠ فظهوره وتفوقه لا يعود اليه ولكن يعود الى من أكرموا مثـواه وأحاطوه بالنعمى ولين العيش والظلال الوارفات ٠

ـ وهو أكرم من شوقى قولا لان أغلب شعره للنيل والشعب والشرق وهذا ما يوحى به آخر أبيات هذه العينية(١٧) ٠

ويقول ابراهيم دسوقى أباظة :

« ٠٠٠ وكان حافـظ اذا خـلونا به يحمـل على شوقى

---

(١٧) ولا يدفع هذا ما ينقل عن حافظ فى بعض مجالسه من تفضيل شوقى على نفسه كالذى ينقله طاهر الطناحى عنه فى كتابه عن الشـاعرين ص ٩٠ وما بعـدها فهو أدخـل فى باب المجاملات منه فى باب الاحكام النقدية ، على أن الكاتب نفسه قد روى ما يدل على سخرية حافظ وتهكمه على بعض قصائد شوقى (أنظر ص ٩٣) بل كان حافظ يزدى بشوقى وينال من شاعريته اذا أمن السنة النقلة وتأكد أنه لا يوجد من الجالسين من يروى ما يقوله وينقـله الى شوقى أو أولياء نعمته ٠ ويقول خليل مردم ـ فى لقاء مع حافظ فى ٨ آذار سنة ١٩٢٦ ـ ٤ من رمضان ١٣٤٤ « ٠٠٠ عاب حافظ كثيرا من شعر شوقى ونعى عليه تنطعه ، قال : ما رأيت أحدا يكثر من الدعوة الى مكارم الاخلاق كشوقى وهو الذى يقضى ليـله طائفـا حوالى مواطن الريبة ومتنقلا فى عربات الترام ٠٠٠ وما أعجب بشىء كعجبى لاهل الشام فى غلوهم بالاحتفاء به ومبالغتهم فى تكريمه ، وفى قصائدهم التى قالوها فيه ما هو أحسن من قصيدته ٠ (ص ١٦٣ من مقال خليل مردم : مع حافظ ابراهيم ـ مجلة المجمع العلمى العربى ـ دمشق ج ٣ م ٣١) ٠

وشعره ، ولكنـه لا يتنازل لنقد غـيره ، ولا يسـلم له بالامامة ولا يعترف له بالزعامة »(١٨) .

وكان حافظ يعلن في جلسـاته الخاصـة أن شوقي يخشى منافسة الآخرين له وأنه كفر بأخوة الادب وأخوة العرب(١٩) . وقد قص حافظ كيف جاء المرحوم الشيخ عبد المحسن الكاظمي الى مصر غريبا طريدا فحب أن يكون له في رحاب الخـديو متسع ولكن شوقي خاف منافسة الشاعر العراقي فسـد عليـه الباب وقطع عليه كل رجاء وكفر في هذا بأخوة الادب وأخوة العرب وبالواجب نحو رجل شطت به الديار ، ووجـد السيد عبد المحسن في الاستاذ الامام حجى ، ولكن الحمام لم يمهل الاستاذ الامام ، وهنا تهـدج صوت حافـظ ودمعت عينـاه ولم يستطع أن يتم الحـديث(٢٠) .

وعرف حافظ اليتم والفقر ... وعرف سوء الحال وبؤس الجد في نشأته وفي عمله بالمحاماة وفي عمله ضابطا وخاصـة في الفترة التى عاشها في السودان ، اذ كان موضـع اضـطهاد سردار الجيش المصرى (لورد كتشنر) ، والى جانب ذلك كان رئيس فرقته (رفعت بك) يكرهه ويرفع التقارير السيئة عنه ، فاصطلحت كل الظروف على أن تجعل حياته في السودان جحيما لا يطاق(٢١) الى أن أحيل الى الاستيداع في ٣ مايو ١٩٠٠ وفي

---

(١٨) أبولو يوليو ١٩٣٣ ص ١٣٤٥ من مقال له بعنوان حافـظ كما عرفتـه .

(١٩) راجع : محمد هارون الحلو : حافظ ابراهيم شاعر القومية العـربية ١٢١ .

(٢٠) انظر الحلو : السابق نفس الصفحة .

(٢١) الجندى : حافظ ابراهيم ٣١ .

أول نوفمبر ١٩٠٣ أحيل على المعاش بناء على طلبه وكان مرتبه فى الاستيداع أربعة جنيهات فى الشهر(٢٢) ٠

وكانت رسائله التى يبعث بهـا من السودان الى الامام محمد عبده تنضح بالشكوى والشعور الحاد بالوحشة والمرارة والبؤس واليأس(٢٣) ٠

ويبلغ شعوره بالبؤس مـداه حتى أنه يستجدى بشـعره صراحة ٠٠٠ ففى سنة ١٩٠٠ قصد حافظ البارودى بعد عـودته من منفاه ومدحه بقصيدة دالية جاء فيها :

أتيت ولى نفـس أطلت جـدالها
سيقضى عليهـا كربها اليوم أو غدا
فان لم تداركهـا بفضـل فقد أتت
تـودع مولاهـا وتسـتقبل الـردى

فلما سمع البارودى هذين البيتين بكى بكاء حارا ، وناشد حافظ أن يحذف هذين البيتين من القصيدة ، ثم نهض من مجلسه وعاد الى حافظ ، فناوله مظروفا به أربعون جنيها ذهبيـا هى قيمة ما كان مقررا للبارودى من معاش شهرى وقال لحـافظ : « اننى أبكى لأنى عشت الى زمن يقدم فيه مثلى الى مثلك هذا المبلغ الضئيل »(٢٤) ٠

---

(٢٢) السابق ٣٣ ٠
(٢٣) أنظـر رسـالته الى الامـام محمـد عبـده فى ديوانه ١٢٥/٢ ٠
(٢٤) طاهر الطناحى : شوقى وحافظ ١٢٥ ـ ١٢٦ ٠ وانظر القصيدة فى ديوان حافظ ٧/١ وقد حذف منها حافظ هذين البيتين تلبية لرغبة البارودى ٠

ويشكك طه حسين فى « جدية هذا البؤس » حتى ليكاد يقول أنه بؤس مفتعل مـدعى ، فيقول فى معرض حـديثه عن ترجمة حافظ قصة البؤسـاء لفكتور هوجـو « ... فالحق أن شاعرنا (حافظ) قد تكلف جهدا عظيما وعناء شديدا فى هذه الترجمة ، (ترجمة كتاب البؤساء) ولست أدرى : لم اختاره ؟ بل ربما كنت أدرى ،فقد أذكر أن قد كان البدع فى أيام صباى تكلف البؤس ، وانتحال سوء الحال ، والافتنان فى شكوى الناس والزمان ، كان ذلك بدعا فى العقد الاول من هذا القرن ا وكان حافظ يذيع هذا البدع ويروجه »(٢٥) .

وممن كتبوا عن حافظ(٢٦) من يرى رأيا قريبا من رأى طه حسين وأنه بالمقياس العام كان بؤسا « وهميا لا حقيقيا » وأن « شكوى حافظ من البؤس طول حياته شىء يتفق مع طبيعته وإن كان لا يتفق مع واقعه بالمفهوم العام ، واننا لو نظرنا الى حافظ من منظور عصره قلنا أنه لم يكن فقيرا ولم يكن بائسا حتى فى أيام يتمه وفى أيام كفالة خاله له وفى أيام بطالته »(٢٧) .

ويمضى الباحث ملتقطـا من حيـاة حافـظ وآلة وقائـع وحقائق تدل على أن حافظ وآله لم يذوقوا ذل الفقر والبؤس بالقياس العام وأن دخل حافظ ـ حتى لو انحصر فى الجنيهات الاربعة معاشه الشهرى ـ كان يكفى لحياة كريمة بمعيار زمانه

---

(٢٥) طه حسين : حافظ وشوقى ٧٧ .

(٢٦) أحمد محمد على فى مقال طويل له بعنوان : « بؤس حافظ بين الحقيقة والوهم » مجلة فصول السابقة من ص ٩٣ الى ص ١٠١ .

(٢٧) الســابق : ٩٧ .

فما بالك بشخص تمنحه وزارة المعارف ألفى جنيه مقابل تقرير كتاب « البؤساء » فى وزارة المعارف ؟(٢٨) ... الخ .

والواقع أن الباحث ينازع حيث لا قضية ولا خصوم :

١ ـ فالبؤس أو الفقر لا يرتبط بقلة الدخل أو ضخامته بقدر ما يرتبط بطريقة المعيشة وصورتها ومكان القصد والاعتدال أو التبذير والاسراف فيها .

٢ ـ والذين تحدثوا عن بؤس حافظ لم ينكر هذه الارقام التى كان يستقبلها كل شهر أو مناسبات معينة كما اعترفوا أن اسرافه كان من أسباب فقره وبؤسه(٢٩) .

٣ ـ ومن أسباب ذلك أيضـا أن حياته كانت سلسـلة من الاخفاقات التى لم تعرف النجاح العملى الذى يكفل له حياة مستقرة ، ولعل ذلك كان من حسن حظ الادب .

---

(٢٨) السـابق : ٩٩ .

(٢٩) ومن أغرب وقائع اسرافه ما يرويه الاستاذ خليـل مردم من أن حافظ سهر مرة فى القاهرة يلعب الطاولة مع أحد أصدقائه فلما طال أمر اللعب نبهه أحد الحاضرين الى أن آخر قطار يسير من القاهرة الى حلوان حيث يسكن حافظ قد دنا وقته ، فلم يلتفت اليه حافظ حتى اذا انتهى من اللعب بعـد فوات وقت القطار طلب الى الشركة أن تجهز له قطار خاصا من القاهرة الى حلوان ، وكان الامر كذلك ودفع الاجرة الضخمة المعينة لمثل هذا الحال . (خليل مردم : حافظ ابراهيم على سجيته . ص ٥٤٠ مقال فى مجلة المجمع العلمى العربى «دمشق» جـ ٤ م ٣١) .

٤ ـ وليست العبرة بوجود البؤس أو عدم وجوده فى واقع الحياة ... بل المهم هو « الشعور » نفسه .. احساس الشاعر بالمرارة والضيق والظلم واليأس .. وهذا هو ما يعنى مؤرخ الادب وناقده حين يعرض لحياة الشاعر وفنه وهذا هو الفيصل الحاسم بينهما وبين المؤرخ .

لقد كان حافظ يؤمن بأنه منحوس فى حياته محروب من الاقـدار فيقول :

أصـــاب رفــاقى القــدح المعــلى
وصـــادف سهمى القـــدح المنيحا
فلو ســاق القضـــاء الى نفعـــا
لقــام أخــوه معترضا شحيما(٣٠)

وأصبحت هذه الفكرة تسيطر عليه كأنها عقيدة ثابتة فكانت تلح عليه فى كثير من قصائده فيقول فى قصيدة أخرى :

لكننى غـير مجـدود وما فتئـت
يـد المقـــادير تقصينى عن الارب
وقــد غـدوت وآمــالى مطـرحـة
وفى أمورى ما للضب فى الذنب(٣١)

ويبلغ به اليأس حدا يتمنى معه الموت فيقول :

---

(٣٠) الديوان ١١٣/١ .
(٣١) الديوان ١١٨/١ .. ويقال فى الامور التى تستعصى على الحل « اعقد من ذنب الضب » . (أنظر الميدانى : مجمع الامثـال) .

فهبى رياح الموت نكبـــا واطفئى
سراج حياتى قبل أن يتحطما(٣٢)

ثم كانت نكبته الكبرى فى وفاة الامام محمـد عبده سنة ١٩٠٥ ، فاشتد به اليأس وعاودته الشكوى من الزمان وأهله فلم يجد من قومه مسعفا(٣٣) . وفى سنة ١٩٠٨ قضت أمه ، وبعد قليل لحق بها خاله محمد نيازى ، ولم‌يبق له من ذوى رحمه الا أرملة خاله « الست عائشة هانم »(٣٤) .

هذه النفس البائسة اليائسة المحروبة التى تحس احساسا قويا بالظلم الاجتماعى القدرى ان صح هذا التعبير ما كانت تجد سلواها الا فى نموذج من نماذج العدل الكبرى مثل عمر ابن الخطاب الذى قالت فيه السيدة عائشة ـ رضى الله عنها ـ « اذا ذكر عمر ذكر العدل ، واذا ذكر العدل ذكر الله ، واذا ذكر الله نزلت الرحمة »(٣٥) . وقد يكون هذا الاحساس هو الذى وجهه ـ واعيا أو غير واع الى هذا الملاذ الامين .. رمز العدل والحق والانصاف على مدار التاريخ الاسلامى كله :

عمر بن الخطاب الذى تنم أبيات حافظ على أن عدله كان عدلا فـريدا لا يمكن أن تنجـزه أية شخصـية أخـرى فى التـاريخ(٣٦) .

● ● ●

(٣٢) الديوان ١١٥/٢ .
(٣٣) الطناحى : شوقى وحافظ ١٢٩ .
(٣٤) الجندى : حافظ ابراهيم شاعر النيل ٣٩.
(٣٥) الكتانى : نظام الحكومة النبوية .
(٣٦) نبيلة ابراهيم : شعبية شوقى وحافظ ٢٢١ فصول

وخارج نطاق نفس حافظ هناك تعليل عام لاتجاه حافظ الى شخصـية عمر بن الخطاب نص عليـه الاستاذ عبد الحليم العبادى ويؤيده فى ذلك الوضع المنهار الذى كان العالم الاسلامى يعيشه بعد ظهـور أمارات انهيار الخـلافة العثمانيـة . يقول الاستاذ العبادى : « فلعـل الباعث له (على نظم العمرية) ما رآه من التياث حال العالم الاسلامى ابان الحرب العالميـة الاولى ، وفساد أمر الخلافة فأراد أن يجلو على المسلمين صورة لأقوى شخصية ظهرت فى الدولة الاسـلامية وهى شخصية عمر ابن الخطاب فيكون للناشئة فيها مثالا يحتذونه وينسجون على منـواله »(٣٧) .

فكأن حافظ يريد أن يقول ان خلا حاضرنا من الشخصية القوية الفائقة المجمعة ففى تاريخنا البعيد مثل هذه الشخصية الجديرة بأن تكون مثلا أعلى للمسلمين والاجيال القادمة .

● ● ●

وهذه المطـولة ليست سردا مسهبا لتاريخ الخليفة عمـر ابن الخطاب وأعماله ومواقفه كما ذهب الدكتور الجندى(٣٨) فالسرد المسهب لتاريخ مثل هذه الشخصية يحتاج الى مطولة أو ملحمة من آلاف الابيات ، وهذا ما لم يرم اليـه حافظ ، وما كان ليستطيعه لو أراده .

---

(٣٧) مجلة الكتاب جـ ١٠ اكتوبر ١٩٤٧ السنة الثانيـة ص ١٥٨٠ .

(٣٨) د. عبد الحميد الجنـدى : حافظ ابراهيم شاعـر النيل ١٤٨ .

كما أنها ليست قصة كما ذهب الاستاذ الطناحى(٣٩) انما هو منظومة « تاريخية اجتماعية » اعتمد فيها حافظ على ركيزتين :

الأولى : التقاط بعض الحوادث التاريخية الدالة على شخصية عمر ٠

الثانية : ابراز المناقب والملامح النفسية والروحية فى شخصية عمر من ايمان وعدل ورحمة وحزم وتواضع ٠٠ الخ ٠

وآمل ألا أكون مغاليا اذا رأيت أن هذا الجانب النفسى الاجتماعى يغلب على الجانب الاول أو بتعبير آخر أن الوقائع التاريخية التى التقطها حافظ من تاريخ عمر ابن الخطاب انما سيقت لا لذاتها ولكن لتعكس دلالاتها النفسية والاجتماعية وليبث حافظ فى تضاعيفها غير قليل من خواطره النفسية ورؤيته الاجتماعية والسياسية ٠ ومن ثم نستطيع أن نسجل بالنسبة لهذه الوقائع عدة حقائق أهمها :

١ ــ أنها وان حملت دلالات نفسية واجتماعية لها قيمتها فان كثيرا منها لا يشغل حيزا كبيرا من الواقع التاريخى ٠ ٠ ٠ ولا يشغل حيزا زمنيا رحيبا منه ٠

---

(٣٩) شوقى وحافظ ص ١٥٣ وقد قال عنها أنها قصة بليغة لو أن حافظ كان حولها الى حوار لاصبحت من أبلغ المسرحيات ٠ والواقع أن استعداد حافظ الثقافى وموهبته الشعرية ما كانا يسمحان له بنظم هذا النوع من الفن ، وقد جرب قلمه فى هذا المجال فاخفق اخفاقا ذريعا فى تمثيلية ساذجة بعنوان (منظومة تمثيلية) : الديوان ٦٩/٢ ٠

٢ – أن بعض هذه الحوادث غير وثيق ولم يرد الا فى كتب الاخبار والطرائف والحكايات كقصة تسور عمر السور على الشاربين .

٣ – أن حافظ لم يلتزم الترتيب التاريخى لهذه الوقائع :
فقد بدأ بحادث مقتل عمر على يد أبى لؤلؤة المجوسى مولى المغيرة .

ثم يورد حادث عزل خالد بعد حادث جبلة بن الايهم وما دار بين عمر وبين أبى سفيان والصحيح أنه وقع قبلهما . وقدم كذلك قصة ستة الشورى ص ٩١ وحقه أن يأتى بعد مشهد مقتله وقبل الخاتمة ص ٩٧ أى أن يكون آخر المشاهد لو كان حافظ حريصا على الترتيب التاريخى .

وهذا يؤكد ما ذهبنا اليه من أن الهدف الاصلى هو الابعاد والمناقب والملامح الانسانية قبل تقرير الواقع التاريخى شأن المنظومات التاريخية كما فعل أحمد محرم فى ديوان مجد الاسلام فقد كان أحرص على الالتصاق بالواقع التاريخى وأقرب الى روحه من حافظ .

هذا الشاعر الذى يستبد به هذا الشعور الحاد بانه بائس ضائع مظلوم مهضوم وجد متنفسه وراحته الكبرى فى حصن المظلومين والبؤساء والمستضعفين عمر بن الخطاب ... ومن ثم كانت الصورة النفسية الاجتماعية أوضح وأجلى وأعلى نبرة من وقائع التاريخ التى كانت – كما ألمعت آنفا – مجرد وسيلة لتحقيق هذه المضامين النفسية التى كانت تعويضا أو « معادلا موضوعيا » لقيم افتقدها حافظ – أو بتعبير أدق فقدها فى المجتمع الذى يعيش فيه ، حتى أصبحت مصر كما يخاطبها :

فمـــا أنــت يــا مصر دار الاديــب
ولا أنــت بالبـــلد الطيــب(٤٠)

ومن هنا كانت عمريته « استحضارا لشخصية عمر » فغلب عليها أسلوب المناجاة والتغنى بقيمة الانسانية العليا من عـدل وانصـاف وانتصـــار للضـعفاء والمظـلومين وحـزم ورحمـــة وشفقـة . . الخ .

ـ كم خفـت مضـعوفا دعـــاك بــه
وكم أخفـت قـويا ينثنى تيها(٤١)
ـ فـلا الحســابة فى حق يجـــاملها
ولا القرابة فى بطل يحابيها(٤٢)
ـ شاطرت داهيــة السواس ثروته
ولـم تحفـــه بمصر وهــو واليهــا
وأنت تعـرف عمـرا فى حــواضرها
ولسـت تجهل عمرا فى بواديها(٤٣)
ـ وهـــذه خطـــة الله واضعهــا
ردت حقـوقا فاغنـت مستميحيهـــا
ما الاشـتراكية المنشـودة جانبهـا
بين الورى غيرمبنى من مبانيها(٤٤)

---

(٤٠) الديوان ٢٥٦/١ .
(٤١) الديوان ٨٢/١ .
(٤٢) السابق ٨٤/١ .
(٤٣) السـابق ٨٧/١ .
(٤٤) السـابق ٨٨/١ .

- أمنت لما اقمت العدل بينهم
فنمت نوم قرير العين هانيها(٤٥)
- وما استبد برأى فى حكومته
ان الحكومة تغرى مستبديها
رأى الجماعة لا تشقى البلاد به
رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها(٤٦)
- ان جاع فى شدة قوم شركتهم
فى الجوع أن تنجلى عنهم غواشيها
جوع الخليفة - والدنيا بقبضته
فى الزهد منزلة سبحان موليها(٤٧)
فى طى شدته اسرار مرحمة
للعالمين ولكن ليس يغشيها
وبين جنبيه أو فى صرامته
فؤاد والدة ترعى ذراريها(٤٨)

● ● ●

ولأهمية العمرية - والتى تعد أشهر قصيدة نظمها حافظ فى حياته نجد لزاما علينا أن نقف وقفة نقدية قصيرة أمامها تبين عن جنسها الادبى وتكشف عن بعض ما فيها من قيم أدبية بعد أن أشرنا الى ما فيها من قيم انسانية :

لقد ذهب بعض المحدثين الى أن العمرية تعتبر من الشعر القصصى وانها « قصة بليغة لو حولها حافظ الى حوار لاصبحت من أبلغ المسرحيات »(٤٩) .

---

(٤٥) السابق ١/٩٠ . (٤٦) السابق ١/٩١ .
(٤٧) السابق ١/٩٣ .
(٤٨) السابق ١/٩٤ .
(٤٩) طاهر الطناحى : شوقى وحافظ ١٥٣ .

وهذا الحكم الخاص بالعمرية يعد تفريعا على حكم عام أصدره الكاتب على شعر حافظ فهو يرى أن أغلب قصائده التي نظمها في نحو خمسة وأربعين عاما من حياته أقرب الى القصة والمسرح في موضوعاتها وأسلوبها الروائي . ولو أنه اتجه جديا الى ذلك لكان من شعره ثروة روائية باقية لانه تناول مآسي مصر الاجتماعية وأمانيها القومية وسعيها للحرية .. ولانه على قدرة عالية في دقة الوصف والقصة والمسرحية تعتمدان على الوصف ، وهما من الادب الوصفي لا الادب الانشائي ... »(٥٠) .

وهو راى غريب يمكن مناقشته من وجهتين :

الوجهة الاولى : أن القصة والمسرحية ـ وان اعتمدتا الى حد كبير على الوصف ـ فهما يعتمدان أساسا على ملكة الخلق والابتكار ، والقدرة على التركيب والتعقيد ، والا لجاز أن يكون كل شاعر بارع في الوصف قصاصا أو تمثيليا .

والاغراض الاجتماعية والقومية والسياسية التي طرقها حافظ لا يمكن أن تتخذ دليلا على قدرة الشاعر أو استعداده للون القصصي والتمثيلي .

الوجهة الثانية : أن الشعر القصصي والمسرحي يحتاج الى ثقافة واسعة ، ودراسة عميقة ، وتذوق رفيع للادب الدرامي العالمي ، وهذا ما لم يتوفر لحافظ ، وما كان حافظ بامكاناته الفكرية والثقافية المحدودة ليستطيع أن يضرب بسهم وافر في هذا المجال . وهو على هذا الاعتبار أعجز من أن يجاري شاعرا

---

(٥٠) السابق ١٥٠ .

كخليل مطران فى مجال القصة الشعرية(٥١) أو يجارى شوقى فى مجال « الشعر التمثيلى » . ولعل فى انصرافه عن هذين الفنين خيرا كثيرا للشعر العربى ولحافظ نفسه فكان فائقا فى الشعر القومى والشعر الاجتماعى والمراثى .

وقد اعترف الطناحى نفسه بهذه الحقيقة حين قال : « ان حافظ كان من طبعه الكسل ، وكان يشكو عدم التشجيع ، بل صادف فى شبابه الكثير من التثبيط والاهمال والاضطهاد ومعاكسة المحتلين الانجليز ، فكان يكافحهم بقصائده الوطنية والسياسية ، وبكى واشتكى لحظه العاثر ثم شغله رثاء زعماء الوطنية والمجد الوطنى عن أن ينصرف عن أدب القصة والمسرح الذى يحتاج الى الوقت الكافى والنفس الهادئة المطمئنة »(٥٢)

ويكاد يكون هناك شبه اجماع ممن كتبوا عن حافظ أنه كان ملولا قصير الصبر لا يستقر على حال ولم يكن يعكف على قراءة منظمة ذات منهاج مرسوم ولم يكن يتعمق ما يقرأ ، وكان يضيق بألوان المعرفة التى تتطلب من ناشدها التعمق وطول التفكير ... والذين رثاهم أو قرظ كتبهم دل ما نظمه على أنه لم يقرأ ما كتبوا أو ترجموا . وقد تكون هذه الضحالة الثقافية هى السبب فى قلة الثقافة للتاريخ فى شعره .

---

(٥١) لخليل مطران أكثر من قصة شعرية وقصيدة قصصية وهو يعتبر الرائد الحقيقى للفن القصصى الشعرى فى الشرق العربى . ومن أشهر قصائده القصصية مطولته الملحمية « نيرون » التى جاءت فى ٣٢٧ بيتا على وزن واحد وقافية واحدة ، وقد تنوعت قصصه الشعرية فى الموضوعات ، فحلقت فى آفاق وطنية واجتماعية وانسانية .

(٥٢) الطناحى : شوقى وحافظ ١٥٠ .

وكانت معرفته باللغة الفرنسية سطحية جدا أما ما قيل أنه ترجم كتاب البؤساء فقد سجل عليهـا طـه حسين من المـآخـذ ما خلص منه فى النهاية الى أنه « كتاب من تأليف حافظ وليست ترجمة لبؤساء فيكتور هوجو » . وكذلك كتاب « الموجـز فى الاقتصاد » الذى ينسـب لحافظ وخليـل مطران ترجمتـه عن الفرنسية ، فمن المقطوع به أن الذى استقل بترجمته هو خليل مطران ولم يكتب حافظ الا مقدمته(٥٣) .

على أن خيال حافظ لم يكن فى الغالب الاعم من النـوع الابتكارى الخلاق ، فهو كما قال أحمد أمين كان « خيالا قريب

---

(٥٣) أنظر مقدمة أحمـد أمين لديوانه ص ٢٠ ــ ٢١ . وعبد الحميد الجندى :حافظ ابراهيم شاعر النيل من ص ٧١ الى ص٧٣ .وطه حسين : حافظ وشوقى ٨٢الى ٨٦ . والعقاد شعراء مصر ص ١٧ . ود. شوقى ضيف : الاد بالعربى المعاصر فى مصر ص ١٠٥ ، ١٠٩ . وعبد السميع المصرى : شوقى وحافظ ٥٧ . وأنظر كذلك ص ١٣٩٢ من مجـلة أبولو يوليو ١٩٣٣ دراسة لاحمد محمد عيش بعنوان (سيرة حافظ) وفيها يقول أن « حافظ » قد اقتبس من قصة البؤساء لهوجو جزئية صغيرة ولم يستطيع اتمام ترجمتها لمـا لاقاه من المشقة والعناء لعدم تمكنه من أسرار اللغة الفرنسيةمن جهـة ، ومن جهـة أخـرى لغرامه المنقطع النظـير باللفظ مما حشده بالترجمة العربية .

وقد بذل حافظ فى ذلك كما يقول الدكتور سامى الدهان ــ جهدا غريبا فقد لبث يقلب العربية ومفرداتها واستعارتها حتى خرج به عن أسلوب شاعر فرنسا ليلبسه ثوبا أمويا فى البؤساء بعيدا كل البعد لا صـلة بينه وبين الاصـل الا تشـابه الافـكار والحوادث (د.سا مى الدهان : شاعر الشعب ٦٤) .

قلل حظه من الابتكار ، وقلل حظه من التصوير ، قصر خياله عن أن يغوص في باطن الشيء فيصل الى مكان الحياة منه ، ثم يخرجه الى الناس كما يشعر به ، وصر عن أن يحلق في السماء فيصور منظرا عاما يجذب اليه النفوس »(٥٤) .

● ● ●

فحافظ اذن لم يكن يملك الاداة التى تمكنه من أن يجعل من القصص الشعرى غرضا يقف على قدم المساواة مع أغراضه الشعرية التى بز فيها شعراء عصره كالمراثى والشعر الاجتماعى(٥٥) .

● ● ●

فاذا ما تركنا الحكم على حافظ الى العمرية ذاتها وجدنا من الصعب بل من المستحيل أن نعدها ملحمة أو قصة ، فهى

---

(٥٤) المقدمة ٤٠ .

(٥٥) أنظر مثلا الى تمثيليته الساذجة التى أشرنا اليها . وأنظر قصته المفتعلة التى اتخذها توطئة الى مدح البارودى (الديوان ١/٧) والتى بدأها بعد عدة أبيات بقوله :

وفتانه أوحى الى القلب لحظها
فراح على الايمان بالوحى واغتدى

وفيها يظهر تأثره بمفرداته التراثية وخصوصا قصة يوسف وامرأة العزيز في القرآن (يوسف ٢٤) ورائية عمر ابن أبى ربيعة التى مطلعها :

أمن آل نعم أنت غاد فمبكر
غداه غد أم رائح فمبكر

(ديوان عمر بن أبى ربيعة ٩٩) .

وان كان فيها شخصية « البطل التاريخى » الذى يستقطب كل الاحداث وترتبط به الشخصيات الثانوية الاخرى ـ على نحو من الانحاء ـ الا أنها خلت من التعقيد والتركيب والحبكة القصصية ٠ وفرق بين نظم السير والشعر القصصى ، ذلك لان الاول عمل آلى ، فالشاعر يقرأ التاريخ ثم يحوله شعرا أو قد يحوله نظما ، وهو لذلك لا يعالج حربا ولا ملحمة بعينها وانما يعالج سيرة مطولة فيها الحرب وغير الحرب(٥٦) ولا يطلب من الشاعر القصصى أن يشوه التاريخ أو يحرفه ، ولكن يطلب منه أن يمثل حقائقه لا كما هى فى الواقع بالضبط ، ولكن كما تبدو فى خياله وخبراته ، فاذا سار على الصراط التاريخى ، ولم ينحرف يمينا ولا شمالا فانه حتما يسقط دون غايته(٥٧) ٠

وقصارى ما يقال فى العمرية أنها مطولة تاريخية شعرية والمطولة الشعرية كما يرى الدكتور عز الدين اسماعيل بحق : تعد تطورا جديدا للملاحم من جهة ، وللقصيدة الغنائية من جهة أخرى بعد أن تركت بدايتها الغنائية العاطفية الصرف ، وتطورت بتطور الحضارة ، ودخل فيها العنصر الفكرى ويعتبر هذا اللون أهم لون شعرى فى الادب المعاصر ، وقد بدأ شعراؤها ينصرفون الى هذه المطولات ، وكان انصرافهم اليها أمرا من الصعوبة بمكان لانهم كانوا محتاجين الى أن يغيروا فلسفتهم الفنية تغييرا جوهريا حتى يتنقلوا من جماليات الشعر العربى

---

(٥٦) د٠ شوقى ضيف : دراسات فى الشعر العربى المعاصر ٥٤ ٠
(٥٧) السابق ٥٥ ٠

الغنائى القديم الى جماليات التجربة والفكر الفعال ، وما يصحب ذلك من تغييرات جوهرية فى الاطار والتكوين(٥٨) ٠

والخلاصة أن منظومة حافظ العمرية لا يمكن اعتبارها ملحمة أو قصة شعرية ، كذلك لا يمكن اعتبارها شعرا تاريخيا من النوع التسجيلى التقريرى كأرجوزة ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد والتى نظمها مسجلا فيها غزوات الملك الناصر فى الاندلس الى عام ٣٢٢ هـ وجاءت فى ٤٥٦ بيتا(٥٩) ٠

ولكنها مطولة شعرية تاريخية تكاد تخلو من طابع الجفاف لسهولة أسلوبها ورشاقة الفاظها وتدفق عباراتها ٠ أما الخيال فيها - وان جاء تقليديا قريبا غير محلق فى سماء الابداع - فانه لم يخل من مسحات جمالية آسرة كهذه الصورة الممتدة لدولة الاسلام فى عزتها وقدرتها :

واها على دولة بالامس قد ملأت
جوانب الشرق رغدا من أياديها
كم ظللتها وحاطتها بأجنحة
عن أعين الدهر قد كانت تواريها
من العناية قد ريشت قوادمها
ومن صميم التقى ريشت خوافيها(٦٠)

وذلك التصوير البارع لبطولة خالد وبلائه وبأسه وقدرته على تحقيق الانتصارات فى أسرع وقت :

---

(٥٨) أنظر د٠ عز الدين اسماعيل : الادب وفنونه ١٢٢ - ١٢٥ ٠

(٥٩) أنظرها فى العقد الفريد ٥٠٠/٤ ٠

(٦٠) الديوان ٧٨/١ ٠

سل قاهر الفرس والرومان هـل شفعت
له الفتــوح وهـل أغـنى تواليها
غـــزى فابلى وخيـل لله قـد عقـدت
باليمـن والنصـــر والبشـــرى نواصيها
يـــرمى الاعـــادى بآراء مســـــددة
وبالفـــوارس قـد سـالت مذاكيهـا
ما واقـــع الــروم الا فـــر قارحهـــا
ولا رمى الفـرس الا طـاش راميهـــا
ولـم يجـــز بـــلدة الا سمعت بهـــا
الله أكـــبر تـــدوى فى نواحيهـــــا
عشـــرون موقعـــة مـرت محجــــلة
من بعـــد عشر بنـان الفتـح تحصيها
وخـــالد فى ســـبيل الله موقـــدها
وخـــالد فى سـبيل الله صاليهـا(٦١)

وهى صورة القائـد المظفر الذى تحققت فيـه كل ملامح القيادة الرشيدة بأبعادها المـادية من قوة الجسد والسلاح والكر والفـر ، وأبعادها العقليـة من حسن التخطيط وسـداد الرأى والتدبير ، وأبعادها النفسية من شجاعة وجرأة زرعت الرعب والهلع فى قلوب الاعداء .

ويرى أحمد محفوظ أن حافظ ابراهيم قد بدأ العمـرية « بداية غير موفقة » فقد قتل الرجل قبل أن يجلوه للقراء(٦٢) على أن حافظ استخدم فى هذه العمرية ما يسمى فى الادب الروائى بالـ FLASH BACK ويعنى استحضار المـاضى

(٦١) الديوان ١/٨٥ .
(٦٢) حياة حافظ ابراهيم ٢١٧ .

أو الرجوع الى الماضى والقاء الضوء عليه . فهو قد بدأ مطولته بآخر مشهد من مشاهد الحياة العمرية وهو مشهد « مقتل عمر » ثم بدأ يستحضر الحياة العمرية بادئا باسلام عمر مثنيا بموقفه من السقيفة ... منتقيا بعد ذلك من الحياة العمرية وقائع تنم عن شمائله فى القوة والحزم والعدل والرحمة دون أن يلتزم فيها بالترتيب التاريخى كما ذكرنا آنفا . على أن حافظ باعتباره شاعرا لا يتقيد ـ كما يقول شارح العمرية ـ بقيود الترتيب التاريخى لانه لم يكن مؤرخا وانما هو ذو فن ووحى شعرى ، وكل ذى فن يعمد الى أروع الصور وأفجع الحوادث فيجعلها شذى موضوعه ، والصورة الفاجعة تلفت النظر وتنبه الشعور فيكون التأثير بها أبلغ ، والمدى بافادتها أبعد ... بدأ حافظ يذكر مقتل الامام عمر والامام العادل لينبه شعور القارىء ويثير من نفسه الشعور بفداحة الفجيعة بمقتله وليلفت النظر الى الاثر البعيد الذى تركه هذا الحادث لاول نهضة الاسلام وقيام دولته(٦٣) .

وكل ذلك ينفى عن المطولة أن تكون من الشعر التقريرى التسجيلى كما تضفى عليها ظلالا قصصية ولكنها ظلال ناصلة لا تدخلها فن الملحمة أو القصة كما زعم بعض النقاد . ويكفيها فخرا أنها أشهر قصائد حافظ على الاطلاق كما أنها من أشهر المطولات فى شعر العصر الحديث .

ويسجل التاريخ للعمرية أنها فتحت الباب لهذا النهج من المطولات الشعرية التى تتناول شخصيات الراشدين وأشهر هذه

---

(٦٣) مصطفى الدمياطى : ذكرى حافظ : شرح القصيدة العمرية ص ١٨ ، ١٩ .

المطولات : علوية عبد المطلب وبكرية عبد الحليم المصرى .. والعلوية أشهر من البكريه وان كانت العمرية نالت من الاحتفاء والاعجاب أكثر مما نالتا كلتيهما .. وتتمة للبحث فى العمرية نرى لزاما علينا أن نقف وقفة متأنية أمام علوية عبد المطلب لنتبين مكانها من العمرية ومكان العمرية منها .

والعلوية(٦٥) أطول من العمرية بكثير اذ تبلغ أبياتها (٣٠٧) سبعة وثلثمائة بيت بينما أبيات العمرية مائة وسبعة وثمانون بيتا . وقد ألقاها عبد المطلب بالجامعة المصرية فى يوم الجمعة ٧ من نوفمبر سنة ١٩١٩ فى حفلة أقيمت برياسة شيخ الشعراء اسماعيل صبرى .

ويرى المرحوم عمر الدسوقى أن محمد عبد المطلب لم ينظم هذه القصيدة الا تحديا لعمرية حافظ التى ألقاها فى ٨ من فبراير سنة ١٩١٨ بمدرج وزارة المعارف أى قبل علوية عبد المطلب بأكثر من عام(٦٦) كما يرى العقاد كذلك أنه أنشأها ليعارض بها حافظ فى قصيدته العمرية(٦٧) .

---

(٦٥) ديوان عبد المطلب من ص ٢٣٠ الى ص ٢٥٠ .
(٦٦) فى الادب الحديث ٣٥٤/٢ .
(٦٧) العقاد : شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ٤٩ وربما قصد العقاد هنا المعارضة بمفهومها العام الذى يعنى التحدى لا بمفهومها الفنى الذى يعنى أن تكون القصيدتان على وزن واحد وروى واحد وأن تدور حول موضوع واحد بقصد التحدى (أنظر فى تعريف المعارضة والفرق بينها وبين المتابعة على النجدى ناصف : الدين والاخلاق فى شعر شوقى من ص ٣٣ الى ص ٣٧) .

وحتى لوانتفى التحدى فمما لا شك فبه أن عبد المطلب نظم علويته ونصب عينيه عمرية حافظ والرنين الذى احدثته فى الاوساط الادبية والدينية والاجتماعية ، لذلك حرص على أن ينشدها فى مجتمع حافل كما فعل حافظ .. وحرص على أن يكون للعلوية نفس الاثر الذى تركته العمرية فى نفوس النقاد بل أقوى وأشد حتى أنه بادر العقاد بعد أن استمع للعلوية متسائلا : « ما رأيك فى القصيدة وموضوعها واستهلالها ؟ ألسنا نعجبكم الآن يا أنصار الحديث » .

وكأنى بعبد المطلب كان يرى أنه قد تفوق على حافظ لا فى طول النفس فحسب ، ولكن هذا هو الاهم فى « الاستهلال الجديد » الذى يدور حول وصف الطائرة وتمنيه أن يوهب طائرة لعله « يلقى بها على السحب الاماما » .

ولكن دعك من هذا فالذى لا شك فيه أن قارىء المطولتين يحس أن عبد المطلب قد تأثر بحافظ فى عدة جوانب شكلية منهجية تتلخص فيما يأتى :

١ - فكما فعل حافظ قسم عبد المطلب قصيدته الى أجزاء غير متساوية تبعا للمواقف والمشاهد والشمائل التى لعلى ابن أبى طالب كرم الله وجهه وأعطى لكل جزء عنوانا ابتداء من صباه واسلامه وانتهاء باستشهاده على يد عبد الرحمن بن ملجم . وذلك على النحو الآتى :

١ - على فى صباه واسلامه (٢٣١)
٢ - استخلافه ليلة الهجرة (٢٣٢)
٣ - على بالمدينة (٢٣٣)
٤ - أحد (٢٣٥)

٥ ـ يوم الخندق (٢٣٦)
٦ ـ يوم خيبر (٢٣٨)
٧ ـ قتل مرحب (٢٣٩)
٨ ـ زعامته فى المواطن (٢٤٠)
٩ ـ على فى السلم : (أ) قلبه ٢٤١ ·
(ب) نفسه ٢٤١ (جـ) وجهه ٢٤١
(د) جوده ٢٤٢ (هـ) قيامه بالليل ٢٤٢
١٠ ـ على فى كبره:
(أ) مقتل عثمان ٢٤٢ ·
(ب) اختلاف المسلمين فى الخلافة ٢٤٣ ·
(جـ) الطائفة التى هى على الحيدة ومن بايعه ٢٤٤
(د) أهل الجمل ٢٤٤ ·
(هـ) أهل الشام ٢٤٤ ·

٢ ـ وكذلك نجد عبد المطلب مثل حافظ لا يرصد كل الشمائل أو الاحداث التى شغلت مسيرة حياة الامام على وانما يعتمد على مبدأ « الانتقاء » فهو يختار من الوقائع والاحداث ما يراه أنسب وأدل من غيره على شخصية الامام ·

٣ ـ وكلاهما يلتزم الواقع التاريخى ـ بصرف النظر عن توثيقه ـ دون تزيد ، ودون تحليق بالخيال ليجعل الواقعة التاريخية أدخل فى آفاق الفن منها فى الواقع المسجل ·

٤ ـ وكلاهما لم يتعمق « نفسية الشخصية » وأبعادها الجوانية لان كلا منهما كان مبهورا بوقائع التاريخ فشغلته عن سبر الاغوار والوصول الى الاعماق ، والقطات النفسية التى

عرضها حافظ لعمر شيء آخر غير هـذا التحليل النفسي الذي يعايش أعماق الشخصية ويخرج دفائنها ويجسد خواطرها ، انما هي وقائع ساقها حافظ في مقام التدليل على السمة النفسية أو الروحية ، والعناوين الجزئية التي ساقها حافظ تدل بذاتها على هذه الوجهة (مثال من زهده ٩٢) ـ (مثال من رحمته ٩٢) ـ (مثال من تقشفه وورعه ٩٣) ـ (مثال من هيبته ٩٤)

وفات حافظ أفقان نفسيان كان من الممكن ـ لو أوتي العدة والوسيلة أن يحلق فيهما ما شاء فيأتي بالعجب العجاب وهما : اسلام عمر وقدرة الاسلام على استغلال طاقات النفس والعقل لصالح الانسانية (٦٨) . أما الافق الثاني فهو عام الرمادة سنة ١٨ فقد كان عمر مثلا أعلى لا في القدوة العملية والصـبر والرحمة واشفاقه على الرعية فحسب ولكن في العبقرية الادارية « التي استطاعت أن تتغلب على نكبة من نكبات الطبيعة كادت تودي بأمة محمد الى الهلاك »(٦٩) .

وقد يتظاهر عبد المطلب بانه اهتم اهتماما خاصا بالصورة النفسية الروحيـة للامام علي ولكننا نفاجـأ بانه لم يتعمقها التعمق المنشود وان اتخذ هذه العناوين الجزئية : قلبه ـ وجهه ـ جوده ـ قيامه بالليل ـ وفيه يقـول :

---

(٦٨) اكتفى حافظ بتناول اسلام عمر تناولا تاريخيا في أحد عشر بيتا من ديوانه ص ٧٩ .

(٦٩) أنظر كيفيـة مجابهة عمر لتلـك النكبـة : عمـر وعبقرية عمر للعقاد من ص ١٥٨ الى ص ١٥٩ .
ابن الخطاب لعلي وناجي الطنطاوي من ص ١٧٦ الى ص ١٩٠

وكم أجرى على المحراب دمعا
لخوف الله ينسجم انسجاما
اذا ما قام فى المحراب قامت
لـه زمر الملائكة احتشاما
صلاة الليل يجعلها سحورا
اذا ما فى الغداة نوى الصياما
ثرى صبر القنوع لـه غذاء
جرى دمع الخشوع لـه اداما
رأينا فى الكهولة منه شيخا
حوى المجد اشتمالا واعتماما
فما للدهـــر لم يعـــرف حقـوقا
له شيخا ولم ينكر ظلاما(٧٠)

فنحن هنا أمـام مؤرخ « يرصد خبرا » وينقل مشهـدا محسوسا خلاصته أن عليا كرم‌الله وجهه كان يخشى الله ويمثل فى محرابه باكيا من خشيته وكان صبورا قنوعا له فى كهولته سمات الشيوخ ، ولن نقف عند قيام الملائكة لـه زمرا احتشاما ولا عند قوله هوى المجـد اشتمالا واعتماما فكـل ذلك تكلف

(٧٠) ديوان عبـد المطلب ٢٤٢ . والشاعر متاثر هنـــا بوصف ضرار بن حمزة الصدائى لعلى فى حضرة معاوية وفيـه يقول « ... وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقـد أرخى الليل سدولة ، وغارت نجومه وقـد مثل فى محرابه قابضا على لحيتـه يتململ تململ السليم ويبكى بكـاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرى غيرى أالى تعرضت ؟ أم الى تشوقت ؟ هيهـات هيهات قـد باينتك ثلاثا لا رجعة فيهـا ... » انظر جمهرة خطب العرب جـ٢ / ٢٧٤ .

وتعنت من أجل جلب القافية ... وأقول لن نقف عند ذلك ولكن أحيل القارىء الى ماقاله ضرار بن حمزة الصداقى فى على لنرى أن هذا «النثر» فيه من «الشاعرية» ودقة الوصف وتعمق النفس أكثر مما فى أبيات عبد المطلب الذى « لم يشا أو قل لم يستطع أن يحلل ويسبر غور النفوس » (٧١) .

● ● ●

ويبقى بين الشاعرين فروق واضحة لا يخطئها النظر فمن ناحية الكم نجد عبد المطلب أطول نفسا من حافظ ، فالعلوية تزيد على العمرية بمائة وعشرين بيتا . وفى داخل المطولة نفسها يستغرق ماتحت العنوان الجزئى الواحد أحيانا عشرات من الابيات تصلح أن تكون قصيدة طويلة مفردة مستقلة كحديثه تحت عنوان « أهل الشام » وقد استغرق قرابة سبعين بيتا تحدث فيها عن موقف أهل الشام من على ،وعن قصة التحكيم الشهيرة والتى انتهت بمصرع على كرم الله وجهه ـ ولا كذلك حافظ فأطول المشاهد فى عمريته تحت عنوان (عمر وخالد بن الوليد) وهو يستغرق تسعة وعشرين بيتا(٧٢) .

● ● ●

وفارق آخر فى الاستهلال : فحافظ يستهل قصيدته بالدعاء الى الله أن يرزقه البيان الرائع والمعانى السرية حتى يستطيع أن يفى بحق عمر فى الحديث عنه .

أما استهلال عبد المطلب فاستهلال غريب حقا فقد تحدث عن تطلع الانسان الى الفضاء وكيف « شد مغيرا بالطائرة

---

(٧١) عمر الدسوقى : فى الادب الحديث ٣٥٥/٢ .
(٧٢) ديوان حافظ ٨٤ ــ ٨٧ .

على كواكب السماء ويصف الطائرة التى انطلق بهـا الانسـان انطلاق الطيف « يشق الجو يقطعه لماما »

اذا ما هزمت فى الجو خلنا
جبال النجم تهدم انهداما
وان زجر الرياح حرث رخاء
وولث حيث يامرها الزماما
يسف على الثرى طورا وطورا
تراه على الذرى شق الغماما
أجدك ما النياق وما سراها
تخوض بها المهامه والاكاما
وما قطر البخار اذا استقلت
بها النيران تضطرم اضطراما(٧٣)

ثـم يخلص من كل ذلك الى قولـه :

فهب لى ذات أجنحه لعلى
بها ألقى على السحب الاماما
أمام بنى الهدى وهو ابن تسـع
وأول مسلم صلى وصاما(٧٤)

وبصرف النظر عما فى هذا الوصف من سذاجة وسطحية وعمـا فى «جبال النجم» من غرابة وعن الاخفاق الواضح فى الموازنة بين النوق والقطار من ناحية والطائرة من ناحية أخرى أقل دعك من كل أولئك ولكن انظر الى الافتعال الواضح والتكلف غير المستساغ فى هذا المطلع فليس ثمـة داعية نفسية أو فنيـة

---

(٧٣) ديوان عبـد المطلب ٢٣٠ ٠
(٧٤) السابق نفس الصفحة ٠

لهـا قيمـة تشـد الشاعر الى وصف الطائرة والحرص عـلى الانطلاق بهـا « ليلقى على السحب الامامـا » ··· فوسيلة اللقاء بالامام يستوى أن تكون طائرة أو ناقة أو حصانا ··· وربما كانت الوسيلتان الاخيرتان أدخل فى باب التناسق الفنى مـع شخصية تاريخية كشخصية الامام على ومن عجب أن عبد المطلب كان يعتز بهذا الاستهلال فى وصف الطائرة ويعتقد أنه بذلك قد انخرط فى سلك المجددين (٧٥) · يقول العقاد لعبد المطلب بعد أن سمـع العلوية : انني أعجب بقـوة الاسر فى العبارة ولكنى أراك الان فى صميم التقليد وأنت تحسب أنك نجوت منه بطيارة ، فلولا أن العرب وصفوا الناقة التى يبلغون بهـا الممدوح لمـا وصفت الطيارة التى تبلـغ الامـام ، ولولا التخلص والاستطراد هناك لمـا كان التخلص والاستطراد هنا ، وموطن الخطأ انكم تحسبون الشاعر العربى يصف الناقة لانها « أداة مواصلات » فتحسبون وصف « أداة المواصلات » فى عصرنا فرضا على الشـاعر الحديث ، وليس الامـر على هـذا الحسبان ·

والواقع أن الشاعر العربى انما يصف الناقة لانها جزء من حياته يحس بها الانس فى القفار الموحشة ويأكل من لبنها ولحمها وينسج ثيابه ومسكنه من وبرها ··· فهو شاعر حـق الشاعرية حين يصف الناقة لانه انما يصف فى الحقيقة جـزءا من الحياة وجزءا من الشعور وجزءا من الانسان وهو أشعـر ألف مرة ممن يحكيه بوصف الطيارة فى العصر الحديث لانهـا أحدث أدوات المواصلات ··

---

(٧٥) أنظر العقاد : شعراء مصـر وبيئاتهم فى الجيـل الماضى ٤٩ ·

فالذين ينادون بوصف الطيارة وماجرى مجراها كما كان عرب البادية يصفون النوق والافراس هم قوم لا يدرون لماذا يصفون وينظمون ، وهم محاكون أقدم من الشاعر الجاهلى وأبعد من الشاعر العصرى عن واصف الناقة فى البيداء لان الشرط الاول فى الشعر الحديث أن يصف الانسان ما يحس الانسان ويعى لا أن يصف الاشياء مجاراة للاقدمين عكسا أو طردا فى أنواع المجاراة (٧٦) .

فاذا أضفنا الى ماذكره العقاد طبيعة الاسلوب التقليدى القديم الذى وصف به الشاعر الطائرة زاد ايماننا بأنه زاد التصاقا بالتقليدية والقديم حتى لو كان الموضوع « مخترعا حديثا » زيادة على ما أشرنا اليه من انعدام الداعية النفسية أو الفنية فى وصفه الطائرة وتوظيفها للقاء الامام .

وبالعكس جاء استهلال حافظ طبيعيا عفويا لا افتعال فيه ولا تكلف . فدعاء الله أن يمنحه القدرة على النهوض بأعباء «العمرية» مقام مطلوب ومحمود واعتراف بعظمة الشخصية التى يتناولها ويتسق مع الطبيعة النفسية والروحية لعمر نفسه وقد كان الخشوع والتقوى والدعاء والاتجاه الى الله بقلبه وجوارحه أن يمنحه القدرة على القيام بمهام الامة وأعباء الحكم من أهم سماته ومسالكه .

● ● ●

وفارق ثالث هو أن عبد المطلب كان أكثر التزاما بالترتيب التاريخى من حافظ وذلك فى حدود ما انتقيا من

---

(٧٦) السابق ٥١ .

احداث ووقائع ، فلم يحد عبد المطلب عن خط التاريخ قليلا أو كثيرا ابتداء من طفولة على واسلامه وانتهاء باستشهاده . ومن ثم كان ألصق بالواقع التاريخى من حافظ وذلك من وجهين الوجه الاول هو الترتيب والوجه الثانى هو التفصيل الذى يورده عبد المطلب بأمانة تقرب الشعر من النظم أو النثر.

أما حافظ فقد رأينا أنه قد تحرر قليلا من أمر هذا الترتيب فبدأ مطولته باستشهاد عمر رضى الله عنه . كما أورد قصة عزل خالد بعد موقف عمر مع جبلة بن الايهم وموقف لعمر مع أبى سفيان مع أن عزل خالد تم قبل هذين الموقفين على اليقين . لان الثابت تاريخيا أن عزل خالد كان أول عمل قام به عمر حال توليه الخلافه . وان كان ثمة ضرورة فنية لبدء العمرية بمقتل عمر . فالاخلال بالترتيب التاريخى فى هذه الوقائع الثلاث ليس له مايبرره ، وربما كان مصدر ذلك جهل حافظ نفسه بهذا الترتيب .

● ● ●

وفاروق رابع بينهما وهو أن علوية عبد المطلب كانت أكثر احاطة بشخصية على بجوانبها المختلفة وخاصة فيما يتعلق بالبعد الاجتماعى الذى يتمثل فى مجموعة العلائق التى نشأت بين الامام وغيره فى الحرب والسلم ، فعلى رقعة مكانية واسعة ومساحة زمانية شاسعة كانت تحركات على ومواقفه ابتداء بمكة وانتهاء بالكوفة ومرورا بأحد والخندق وخيبر والجمل وصفين .. الخ وابتداء بالصبا والاسلام ... وانتهاء بالشهادة على يد الخارجى عبد الرحمن بن ملجم . وبصورة تشعرك أن عبد المطلب مؤرخ أكثر منه شاعرا بعد أن استسلم لامر التاريخ على حساب العناصر الفنية الاخرى .

أما حافظ فقد أغفل كثيرا جدا من الاحداث المتوهجة فى حياة عمر مثل عام الرمادة الذى يصلح بذاته أن يكون موضوعا لملحمة رائعة ... كما أغفل الحديث عن مظاهر عبقريته الادارية وعبقريته العسكرية . ولا أعنى بذلك أن حافظ كان عليه ـ خربة لازب ـ أن يبرز كل أولئك . . . فالشاعر غير المؤرخ ، وفى رأيى أن هذا الاغفال ـ مقصودا كان أو غير مقصود ـ لا يعيب « حافظ » فى شىء . انما ذكرنا ذلك استيفاء لعناصر الموازنة بين الشاعرين فى نطاق مطوليتهما . للخلوص الى الحكم الذى سقناه من قبل وهو أن عبد المطلب كان أكثر احاطة بجوانب شخصية الامام على.

ولكن حافظ كان أحرص من صاحبه على أن يبرز من شخصية عمر وشمائله ما يعوضه عن معان وقيم كان يشعر فى أعماقه أنها غائبة فى حياته أو بتعبير أدق كان هناك من غيبها عن حياته وأهمها العدل والانصاف والرحمة ونصرة المستضعفين واعطاء كل ذى حق حقه .... الخ .

وبتعبير آخر وجه عبد المطلب همة الاكبر الى الوقائع والاحداث بينماوجه حافظ عنايته الكبرى الى الصفات والشمائل وان التقيا كما ذكرنا على التوقف عند السطوح الظاهرة بعيدا عن الاعماق والاغوار فالشاعران كلاهما لا يملكان العدة التى تمكنهما من تعمق النفوس وسبر أغوارها .

● ● ●

وفارق خامس هو أن حافظ قد ابرز فى وضوح هدفه من العمرية وهو هدف تربوى قومى يتلخص فى أنه قدم المناقب العمرية للشبيبة الاسلامية :

حتى ترى بعض ما شاعت أوائلها
من الصروح وما عاناه بانيها
وحسبها أن ترى ما كان من عمر
حتى ينبه منها عين غافيها(٧٧)

أما علوية عبد المطلب فلم يعرض صاحبها فيها المغزى او الهدف الذى توخاه من انشائها ٠

● ● ●

وأخيرا هناك فارق مهم بين العمرية والعلوية فى الاسلوب ... فأسلوب حافظ فى العمرية أسلوب مشرق سلس متدفق فيه جرس آسر وبراعة فى الاختيار وسهولة فى المعنى وقافيته مروضة لاتعنت فيها (٧٨) ٠

بعكس عبد المطلب الذى تحس فى أسلوبه جهامة ووعورة وغراما بالجزالة والغرابة حتى أصبحت العلوية معرضا واسع الارجاء للغريب الحوشى بحيث لا يستطيع القارىء المثقف أن يتوغل فيها دون الاستعانة بمعجم لغوى ٠ وقد قهرته القافية الواحدة فى مطولة أربيت على الثلاثمائة بيت على الاغراق فى التعسف والتعنت والتنقيب فى احشاء المعاجم لارضاء هذه القافية على حساب الفن ٠ ولاجتزى بمثال واحد وهو ما جاء تحت عنوان زعامته فى المواطن (٧٩) ٠

---

(٧٧) ديوان حافظ ٩٧ ٠
(٧٨) أنظر أحمد حسن الزيات : فى أصول الادب١٨٢ ٠
(٧٩) ديوان عبد المطلب ٢٤٠ ٠

فدع عنك المواطن والمغازى
ومن سل الظبا فيها وشاما
فجبه للطغاه بهـا وجوها
وجدع للضلال بهـا حثاما
ومن أجـرى عتـاق الخيـل قبـا
فأوطأها المتالع والحثاما
يخوض بهـا المواطن معلمات
ونصر الله كان لهـا علاما
فمـا وجدت لحيدرة اماما
غداة الروع بقدمها اداما(٨٠)

فنحن أمـام شاعـر ينحت من صخر ، ويسرف فى التكلف جريا وراء الغريب والمهجور ، فالشعر عنده ـ كما يقول العقاد مسألة لغة وفصاحة لغوية بل مسألة لغة بدوية عربية لاتتم على اكملهـا وأرقاهـا الا فى أسلوب كأسلـوب الشعـراء الجاهليين والمخضرمين وأغراض كالاغراض التى نظـم فيهـا أولئـك الشعراء (٨١) .

---

(٨٠) شأم السيف : أغمده وهـو من الفاظ الاضراد .
(٨١) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ٤٧ .
جبـه . ضرب الجبهة جدع : قطع . الحثام : جمـع حثمـة وهى الاكمة . الادام : قدرة القوم الذى به يعرفون . حيدرة: هو الامام على كرم الله وجهه .

الفصل الثالث

المناسبات

كان حافظ ـ كما يقول عنه خليل مطران ـ أشبه بالوعاء يتلقى الوحى من شعور الامة واحساساتها ومؤثراتها فى نفسه فيمتزج ذلك كله بشعوره واحساسه ، فيأتى منه القول المؤثر المتدفق بالشعور الذى يحس كل مواطن أنه صدى لما فى نفسه(١) .

ومن ثم كثر فى شعر حافظ ما اصطلح على تسميته بشعر المناسبات من مدح وتهان ووصف ورثاء وهو شعر يعتمد فى أغلبه على وقائع وأحداث معينة . وقد يتعجل بعض النقاد فيعمم الحكم على شعر المناسبات ويضعه فى المرتبة الثانية من الشعر ، ويصفه بالتكلف والافتعال بدعوى أن المناسبة أو الواقعة السياسية أو الاجتماعية هى التى « حملت » الشاعر على نظم قصيدته . وقصور هذا الحكم يرجع الى أنه يحكم على الشعر بعنصر خارج عنه بينما المفروض « أن يتعامل » الناقد مع الشعر ذاته بصرف النظر عن نوع داعيته ومثيراته .

وقد ترتبط هذه القضية على نحو من الانحاء بقضية أخرى وهى قضية « الموضوع » والتى يمكن طرحها فى السؤال التالى : هل هناك موضوعات شعرية وموضوعات غير شعرية ؟ وهى قضية أصبحت مستهلكة لا تستحق التوقف فالشعر لا يستمد

---

(١) الصباحى : مطران كما عرفته مقال منشور فى مهرجان خليل مطران ، ١١٣ وأنظر كذلك « ذكرى الشاعرين » ص ٦٨٤ جمع وترتيب أحمد عبيد .

جلاله وعظمته من طبيعة الموضوع ولكن من عبقرية المعالجة وبراعة التناول والصدق الفنى ومعايشة الموضوع ... وفى ضوء هذا العيار نجد أن شعر المناسبات لا يختلف عن غيره من الشعر عند الحكم عليه بغض النظر عن المناسبة الداعية والموضوع المتناول .

فاذا ما حصرنا النظر فى شعر المناسبات عند حافظ وجدناه نوعين :

نوعا يغلب عليه التقليد والتهويل والتمرع والارتجال وكثير من هذا اللون كان فى مطالع حياته الادبية مثل كثير من قصائده فى المدح .

ونوعا كان ينظمه بداعية نفسية قوية وشعور فياض وايمان صادق ككثير من قصائده فى الرثاء وخصوصا رثاء الشخصيات التى كان يؤمن بها وبعظمتها وتفوقها فى حياتها مثل محمد عبده ومصطفى كامل .

ومن أهم شعر المناسبات فى حياته قصائد نظمها فى المناسبات الاسلامية وبالنظر الى مكان المناسبة وأهميتها فى القصيدة يمكننا تقسيم هذه القصائد الى نوعين :

الأول : قصائد تاتى المناسبة فيها فى المرتبة الثانية بعد الغرض الاصلى من القصيدة كما نجد فى قصائد التهانى والمدائح بحلول مناسبة دينية أو لها ارتباط بالدين مثل قصيدة « تهنئة عبد الحليم عاصم باشا باسنا امارة الحج اليه »(٢) وقصيدة

---

(٢) الديوان ٣/١ .

« تهنئة محمد عبده بمنصب الافتاء »(٣) وقصـيدة « تهنئـة الخديوى عباس الثانى بعيد الاضحى سنة ١٣٢١ ـ١٩٠٤»(٤) وقصيدته التى يهنئه فيها بالعام الهجرى(٥) وقصـيدته التى يهنئه فيها بقدومه من الحج ١٩٠٩(٦) ففى هذه القصائد يكون الهدف الاصلى للشاعر هو المدح أو التهنئة ثم يكون الحديث بعد ذلك عن جلال المناسبة ومظاهر العظمة فيها كما سنرى بعد قليل

أما النوع الثانى : فهو الذى تكون فيه المناسبة مقصودة لذاتها مثل قصيدة تحيـة العام الهجـرى « ١٣٢٧ هـ ـ ينـاير ١٩٠٩ م »(٧) وقصيدة تحيـة العـام الهجـرى « ١٣٢٨ هـ ـ يناير ١٩١٠ م »(٨) .

وفى اللون الاول من هذا الشعر لا نذكر المناسبة الدينية الا على سبيل الالمـاح فلا تنال حظها الوافى من التفصيل كما نرى فى قصيدة تهنئة عاصم باشا بامارة الحج فهو خير من أمر للحج ، وهو مشتاق الى البيت الحـرام والبيت الحـرام فـرح بقدومـه .

وقد يكون الاشارة الى المناسبة الدينية على سبيل الالمـاح بالبيت والبيتين فقط كمـا نرى فى قصيـدتى حافـظ فى تهنئـة الخديوى عباس الثانى بعيد الاضحى سنة ١٣٢١ وتهنئة سموه

---

(٣) الديوان ٤/١ .
(٤) الديوان ٢٨/١ .
(٥) الديوان ٢٨/١ .
(٦) الديوان ٥٠/١ .
(٧) ديوان حافظ ٣٧/٢ .
(٨) الديوان ٥٨/٢ .

بالعام الهجرى سنة ١٣٢٢ فهما قصيدتان محضهما حافظ للمدح الخالص وتصلحان أن تنشدا فى أى مناسبة . ففى القصيدة الاولى - وقد جاءت فى ثلاثين بيتا - لم يذكر حافظ العيد الا فى بيت واحد وهو :

يا عيد ليت الذى أولاك نعمته
بقرب صاحب مصر كان أولانى(٩)

وفى القصيدة الثانية وهى تقترب من السابقة فى الطول لم يذكر حافظ العام الجديد الا فى بيت واحد استجدائى كسابقه وهو :

عسى ذلك العام الجديد يسرنى
ببشرى وهل للبائسين بشير(١٠)

● ● ●

أما قصيدته الطويلة التى يهنىء فيها الخديو عباس الثانى بعودته من الحج ففيها ملامح جديدة تجعل منها تطورا جديدا اذا ما نظر الى قصائده السابقة وأهم هذه الملامح :

ان المناسبة تأخذ فى القصيدة مكانها المناسب وحظها الاوفى حتى أن حافظ يكاد يستوفى القصيدة كل مشاعر الحج من الوقوف بعرفة الى رمى الجمار الى السعى بين الصفا والمروة .

كما أن القصيدة التى جاءت من أولها الى آخرها خطابا مباشرا الى عباس - عرض فيها حافظ مشاعر الحج والعباس

---

(٩) الديوان ٢٨/١ .
(١٠) الديوان ٣٢/١ .

يؤديها ولكنه لا يعرض ذلك عرضا تقريريا توصيفيا ، بل ربط كل « أداء » لشعر من المشاعر بخصيصة نفسية للممدوح تأخذ نفس اللون وان اخذت اتجاها مختلفا كما نجد فى مثل قوله :

رميت فسددت الجمار فلم تكن
جمارا على ابليس بل كان أسهما
وان الذى ترميه وقف على الردى
وان لاذ بالافلاك يا خير من رمى

فنحن هنا أمام شعيرة أداها الخديوى وهى رمى الجمار ويستلهم حافظ سمة نفسية من سمات الخديوى وهى قوته وقدرته على التنكيل بأعدائه فلا مهرب لهم من ضرباته المصممة و « رمياته » المهلكة . ومثل ذلك نجده فى مثل قوله :

وبين الصفا والمروة ازددت عزة
بسعيك يا عباس لله مسلما
تهرول للمولى الكريم معظما
وكم هرول الساعى اليك وعظما
وطفت وقد طافت بسرتك المنى
وكم أمسك الراجى بها وتحرما

● ● ●

ولحافظ قصيدتان مستقلتان فى مناسبة العام الهجرى نظمهما فى عامين متتاليين الاولى سنة ١٣٢٧ هـ ـ يناير ١٩٠٩ والثانية سنة ١٣٢٨ هـ ـ ١٩١٠ م .

والقصيدتان تدوران فى فلك واحد ويتناولان معانى وأفكار متشابهة وتنهجان نهجا فنيا واحدا كما سنرى . وتقترب

كثير من الابيات فى المعنى بصورة ترتفع أحيانا الى حد التماثل • كما نرى فى ختام القصيدتين فيتوجه فى القصيدة الاولى الى الشباب بقوله :

ثقوا بالايد القائم اليوم انه
بكم وبما ترجون أدرى واخبر
فلا زال محروس الاريكة جالسا
على عرش (وادى النيل) ينهى ويأمر(١١)

ويختم القصيدة الثانية بقوله :

وتفيئوا ظل الاريكة واقصدوا
ملكا بأمته أبر وارفقا
لا زال تاج الملك فوق جبينه
تحت الهلال يزين ذاك المفرقا

والغريب أن حافظ لم يعرض فى القصيدتين وهما من أطول قصائده لحدث الهجرة الذى يعد من أعظم وأخطر أحداث التاريخ الانسانى اذا استثنينا أربعة أبيات عبارة عن هجرة الرسول عليه السلام لانها خلت من اللفتة الانسانية والتعمق الفكرى والاستحضار الحى لهذا الحدث العظيم • انما يستهل حافظ كلتا القصيدتين على سواء بمناجاة الهلال أو الحديث عنه •• ثم يعرض الشاعر أهم الاحداث التى وقعت خلال العام وهزت بلاد المشرق فى تركيا وبلاد فارس ومراكش وجاوه والافغان وغيرها ثم يتجه نحو الشباب فيسدى اليه النصائح والتوجيهات التى تكفل له النجاح والتقدم وتضمن للوطن السعادة والسيادة ـ ويكون الختام فى القصيدتين كما ذكرنا دعوتهم الى الولاء والالتفاف حول الحاكم •

(١١) الديوان ٤٢/٢ •

ويعيب القصيدتين أن حافظ ـ كما ألمحت ـ أغفل باستثناء الابيات القنيلة الضحلة التى أشرنا اليها ـ الحديث عن الهجرة وما فيهـا من دروس وعظـات وقيم لو تعمقهـا لاتى بالرائع المعجز • والآسر الخلاب •

على أن عرضـه للواقائع التاريخية تم بطريقة تقريريـة تسجيلية تذكرنـا بالشعر أو بالنظـام التعليمى ، فهو يسـوق الحديث باسلوب دارج من ناحية ولا يحاول أن « يعيشـه » ليعتصر منه دلالاته النفسية والاجتماعية والسياسية •

ولأجتزىء ببعض الابيات من القصيدة الاولى :

ـ وفيه هوى عبد العزيز وعرشه
وأخنى عليه الدهر والامر مدبـر
فالقى الى (عبد الحفيظ) بتاجه
ومـــر على أدراجـــه يتعـــثر
ـ وفى دولة الافغان كانت شـهوره
وأيامـه بالسـعد واليمن تزهـــر
ـ وفيه بدت فى أفق (جاوة) لمعة
أضاءت لاهليها السبيل فبكروا(١٢)

وفى القصيدة الثانية يقول :

ـ وتغيرت فيه الخطـوب بفارس
حتى رأيت الشاه يخشى البيـدقا
وأدال من عبد الحميد لشـعبه
فهوى وحاول أن يعـــود فأخفقا

---

(١٢) الديوان ٢/٤٠ •

ـ فتقيــدت فيــه الصحافة عنــوة
ومشى الهوى بين الرعية مطلقا(١٣)

والشعر كما هو معروف ليس سجلا تاريخيا يحصى ويعدد ولكنه نبضات شعورية ومعايشة حية لواقع والاحـداث بحيث يمنحها الشاعر أبعادا وأصباغا من نفسه فكأننا لا نقرأ عن حدث وقع وانتهى ، ولكنا ــ لمـا فى شعر الشاعر من ابداع ــ نعيش لا واقعا حسيا بل واقعا نفسيا يتجدد دوما ولا يعرف الانتهـاء والذبول ٠

وحافظ دائما يحرص فى شعره على توجيـه النصـائح والتوجيهـات على اختـلاف الوانهـا وانواعهـا ٠ وفى هاتـين القصيدتين نجده يسدى عشرات من التوجيهات الى الشباب ٠ ففى القصيدة الاولى يعبر عنهم بأنهم « رجال الغد المـأمول » وفى القصيدة الثانية يعبر عنهم « بنابته البلاد » ففى الاولى يعرض عليهم حاجات الامة الى القادة والعلماء والحكماء الذين ينهضون بها ، ويدعوهم الى اعداد أنفسهم لسد هذا النقص ٠

رجـال الغـد المـأمول انا بحاجة
الى قـادة تبنى وشـعب يعمــر
رجـال الغـد المـأمول انا بحاجة
الى عــالم يدعـو وداع يذكــر
رجـال الغـد المـأمول انا بحاجة
الى حكمـة تملى وكف تحــرر

---

(١٣) الديوان ٢/٥٩ ٠

رجـال الغـد المـأمول انا بحاجة
اليكم فسدوا النقص فينا وشمروا(١٤)

وفى الثانيـة يدعو « نابتة البـلاد » الى تجنب اليـأس والتعلق بالامل ولتحصيل المجد المؤسس على العلم فالعلم هو منطلق السعادة والحياة الكريمة فيقول :

اهـــلا بنابتـة البـــلاد ومرحبـا
جـدتم العهـد الذى قـــد أخلقـا
لا تيأسـوا أن تســتردوا مجـدكم
فـلرب مغـلوب هـوى ثم ارتقى
مـــدت له الامـــال من أفـلاكهـــا
خيـط الرجـاء الى العـلا فتسلقا
فتجشموا لمجـــد كـل عظيمـــة
انى رأيت المجـد صعب المـرتقى
فتعلموا فالعـــلم مفتـاح العـــلا
لم يبــق بابا للسـعادة مغلقـــا
ثـم استمدوا منـــه كـل قـــواكم
ان القـوى بكل أرض يتقى(١٥)

ولن نقف عند ما فى كثير من هذه الابيات من تقـريرية ومباشرية فى التوجيـه يفقـدها كثـيرا من الرواء والجمـال الشعرى . ولكن يهمنا أن نقرر أن « حافظ » لم يقدم ولو على سبيل الالمـاع من النماذج الاسلامية العليا من حياة الرسول - عليه السلام - وصحابته وهو فى مقام الحديث عن العام الهجرى

---

(١٤) الديوان ٢/٤١ .
(١٥) السـابق ٢/٦١ .

المنسوب الى هجرة النبى ـ عليه السلام ـ ما يشد انظار الشباب ويوجهها الى هـذه القمم وتلك القيم .. انما هى توجيهـات قومية عامـة يعوزها ابراز الصلـة بينها وبين هـذه المناسبـة الدينيـة الجليلة .

ويبقى لهذه القصـائد دلالتان موضوعيتان اجتماعيتـان تنبه لهما الدكتور زكى مبارك وهما أنها تمثل اتجاهات الرأى العام المصرى فى الوقت الذى قيلت فيه وتدلنا كذلك على أن المصريون كانوا يسايرون الحوادث فى الاقطار العربية والاسلامية فهم يعرفون أشياء من أحوال الترك وأشياء من أحوال الفرس وأشياء من أحوال الافغان وغيرهم أخبار عن الجزائر ومراكش وجاوه والهند ويتاثرون بما يقع فى تلك الاقطـار من حوادث وخطوب(١٦) .

● ● ●

وقد حفلت الشوقيات بعـدد من القصـائد فى المناسبات الاسلامية مثل الهـزيمة النبوية(١٧) وذكـرى المولد النبـوى الشريف(١٨) والى عرفات الله(١٩) خلافة الاسلام (القـاء الخلافة)(٢٠) ونهج البردة(٢١) ومرحبا بالهلال(٢٢) .

---

(١٦) زكى مبارك : حافظ ابراهيم ٧٨ .
(١٧) الشوقيات ٣٤/١ .
(١٨) السـابق ٦٨ .
(١٩) السـابق ٩٨ .
(٢٠) السـابق ١٠٥ .
(٢١) السـابق ١٩٠ .
(٢٢) السـابق ١٨٥ .

والقصيدة الاخيرة قالها شوقى فى رأس السنة الهجرية ١٣٢٩ وحتى نستطيع أن نتبين الفرق بين الشاعرين منهجيا وفنيا نقف امام اقرب قصائد حافظ تاريخيا من هذه القصيدة وهى « تحية العام الهجرى »(٢٣) التى نظمها حافظ فى رأس السنة الهجرية ١٣٢٨ :

من الملامح المشتركة بين الشاعرين :

١ ـ أن كلا منهما استهل قصيدته بمناجاة الهلال والثناء عليه وان كان حافظ قد ناجاه متحدثا اليه ، أما شوقى فقد كانت مناجاته حديثا عنه لا حديثا اليه أى أنه تكلم عنه بضمير الغائب ٠

٢ ـ أن كلا منهما نظر الى الهلال نظرة الامل أن يكون العام عام سعد وبركة ٠ فحافظ يقول :

لى فيك حين بدا سناك وأشرقا
أمل سألت الله أن يتحققا
أشرق علينا بالسعود ولا تكن
كاخيك مشئوم المنازل أخرقا(٢٤)

كما يتحدث شوقى عن الهلال قائلا :

ملك السماء فكان فى كرسيه
بين الملائك والملوك مثالا
تتنافس الامال فيه كأنه
ثغر العناية ضاحك الامالا(٢٥)

---

(٢٣) ديوان حافظ ٢/٥٨ ٠
(٢٤) ديوان حافظ ٢/٥٨ ٠
(٢٥) الشوقيات ١/١٩٨٦ ٠

ثم يخلص كلاهما الى الغرض الاساسى من القصيدة . ذلك والطلع بهذه الصورة يذكرنا بمطلع القصيدة العربية القديمه حين تستهل بالنسيب .

ولكن بين الشاعرين فروقا واضحة فى القصيدتين لايخطئهما النظر ومن أهم هـذه الفروق :

١ ـ ان مطلع القصيدة عند حافظ . وان بدا مشرقا آملا فى البيتين الاولين . وقد غلبت عليه فى الابيات التالية صيغة الحـزن والاسى .. فهو يعرض لهلال العام الماضى .. ويصفه بانه كان شؤما وأنه خص مصر بنحسه ، وأسرف فى النحوس وأغرقها ومن ثم يدعو حافظ الهلال الجديد ألا يكون كالهلال القديـم نحسـا وشؤمـا .

أما مطلع شوقى فيتـدفق بالتفاؤل والاستبشار من أوله الى آخره فالهلال كما يقول شوقى :

تتنـافس الامـــال فيـــه كـأنه
ثغـر العنـــاية ضـاحك الامـــالا
والشمس تزلف عيـــدها وتزفـــه
بشـرى بمطلعـه السعيـد وفـــالا
عيد المسيح وعيـد أحمـد اقبـلا
يتبـــاديان وضـــاءه وجمــــالا
ميـلاد احسـان وهجـره ســؤدد
قـد غيرا وجه البسيطة حالا(٢٦)

---

(٢٦) الشوقيات ١٨٦/١ .

٢ ـ كان الماضى فى هـذه القصيدة أقوى من حافظ فشـده اليه ، ومن ثم غلبة عليه فى النصف الاول من القصيدة شخصية المؤرخ الراصد المسجل لا شخصية الفنـان المبـدع المتفاعل ٠ ٠ فالعام المنصرم قد :

أعطى الاعـاجم منـــه مذكــورة
وأعـــاد للاتــراك ذاك الرونقـــا
وتغـيرت فيـه الخطوب بفـارس
حتى رأت الشـاة يخشى البيـدقا
وأدال من عبـد الحميـد لشـعبه
وهوى فحاول أن يعود فأخفقا(٢٧)

وشعر القارىء وهو يواجه هذا الرصد التسجيلى للاحداث التاريخية أنه أمام منظومة تاريخية تعليمية(٢٨) فحـافظ لم يحاول أن يستخلص ما تعكسه هذه الاحداث من دروس وعـبر ومواعظ ولكنه ساقها أحداثا مجـردة خاليـا من كل أولئك ٠

أما شوقى فوقائع التاريخ لا مكان لها فى قصيدته ٠٠ وهو غير منجذب الى الماضى انجذاب حافظ ، بل هو يعيش الحاضر من ناحية ويستشرف آفاق مستقبل على مشرق من نواح أخرى حتى أن الاستشراف المستقبلى يستغرق أغلب القصـيدة ، واذا التفت الى المـاضى فانما يلتفت الى المـاضى الاسلامى الوضىء ، وهو لا يلتفت اليه لذاتـه ولكن ليكون منطلقـا الى مستقبـل رشيد منتصر ٠

---

(٢٧) ديوان حافظ ٥٨/٢ ٠

(٢٨) وهو نفس النهج الذى نهجه حافظ بصورة أخرى فى قصـيدته تحيـة العـام الهجـرى (سـنة ١٣٢٧) ديوان حافظ ٣٧/٢ ٠

٣ – ويغلب على قصيدة حافظ الطابع المحلى أو بتعبير آخر الطابع المصرى القومى ومن ثم كانت القصيدة محدودة الاماد فى هذا النطاق الوطنى الخاص . فالهلال هلال العام المنصرم أصاب أرض الكنانة بالنازلات السود ، وفيه تقيدت الصحافة ، وفيه كانت محاولة مد امتياز شركة قناة السويس ... الخ .

ومع أن الهجرة مناسبة اسلامية عامة تهم البلاد الاسلامية جميعا الا أن « حافظ » لا يتحدث الا الى شباب مصر « نابتة البلاد » ويدعوهم الى التجمع وتحصيل العلم وبلوغ المجد .

أما شوقى فيحلق فى آماد أوسع وأبعد فهو لا يقصر حديثه على الشباب ولا على المصريين بل يتجه بحديثه الى الامم الاسلامية أو « أمم الهلال » كما يسميها ويوجه اليها « مقالة من صادق » أن يعيدوا مجد الاباء والاجداد من المسلمين الاوائل الذين كانوا :

كالرسل عزما والملائك رحمة
والاسد باسا والغيوث نوالا
عدلوا فكانوا الغيث وقعا كلما
ذهبوا يمينا فى الورى وشمالا(٢٩)

٤ – وفى قصيدة حافظ تاتى توصياته وارشاداته التى وجهها الى الشباب . تاتى صريحة ومباشرة وتكاد تكون عارية من الحكمة والخيال البارع (لا تياسوا .. فتجشموا .. فتدفقوا .. فتعلموا .. ثم استمدوا وابنوا .. وربوا الكلام .. وامشوا .. فتحينوا .. الخ .

(٢٩) الشوقيات ١/١٨٧ .

ويقول الدكتور غنيمى هلال فى كتابه القيم وقضايا معاصرة فى الادب والنقد ص ٦٠ « ٠٠ ان التعبير المباشر أو القريب من المباشر تتضح فيه الذاتية ، ويضعف به الشعر الغنائى من الناحية الفنية فالتصريح ووضوح الذاتية عدوان من أعداء الفن

وهذه المباشرية ترتبط عند حافظ بالوضوح والصراحة وذلك يعد من عيوب الشعر ، فالشىء ـ كما يقول عبد القاهر الجرجانى ـ اذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق اليه ومعاناة الحنين كان نيله أحلى ، وبالميزة الاولى ، فكان موقعه من النفس أجل وألطف وكانت من أضن وأضعف ، وكذلك ضرب المثل لكل ما لطف موقعه برد الماء على الظمأ (٣٠) ٠

أما شوقى فله شأن آخر انه يغلف قيمه الفكرية بصبغين يأخذان بالفكر والوجدان : الخيال الجميل والحكمة البارعة فهو « يشخص » الهلال ٠ ويجعل منه كائنا حيا ذا نبض ونفس وجلال خالعا عليه من الصفات لا ما يتفق مع طبيعته فحسب ولكن ما تحتاجه الانسانية لتعيش عيشها الحر الكريم من تواضع وعظمة وود ووفاء ٠ ويربط بين النور المعنوى فى صورة رحيبة ممتدة ٠ فيقول :

قم للهلال قيام محتفل به
أثنى وبالغ فى الثناء وغالى
نور السبيل هدى لكل فضيلة
يهدى الحكيم لها ومن خلالا
ما بين مولده وبين بلوغه
ملا الحياة مآثرا وفعالا

---

(٣٠) الجرجانى أسرار البلاغة ص ١١٨ ٠

متواضـع ، والله شــرف قـدره
بالشـمس نــدا والكــواكب آلا
متـودد عنـد الـكمال تخـــاله
فى راحتيـك وعـز ذلـك منـــلا
واف لجـارة بيتـه يـرعى لهـــا
عهـد السموال عـروة وحبـالا
عون السـراة على تصاريف النوى
أمنوا عليه وحشـة وضـلالا(٣١)

ويتلاحم التصوير الجميـل مـع المعانى العلويـة والحكم الرفيعة الخالدة كما نرى فى قول شوقى :

ويشك فيه فلا يكلف نفسـه
غير الترفع والوقار نضـالا
ساءت ظنون الناس حتى أحدثوا
للشك فى الدور المبين مجالا
والظن يأخذ فى ضميرك مأخذا
حتى يريك المستقيم محـالا (٣٢)

وتأتى حكـم شوقى تترى فى أبيـات كاملـة وأحيانا فى شطر البيت الواحد ليؤيد بالحكمة فكرة عرضها أو حكما ساقـه على النحو التالى :

أمـم الهلال مقالة من صادق
والصدق أليق بالرجال مقـالا

---

(٣١) الشوقيات ١٨٦/١ .
(٣٢) السابق نفس الصفحة .

متلطف فى النصح غير مجادل
والنصح أضيع ما يكون جدالا

ثم يعرض شوقى للاسلام وقوته الفاعلية على مدار التاريخ فهو « يرفع عاملا ويسود المقدام والفعالا » أما مسلموا اليوم فقد أساءوا الى الاسلام بكسلهم وتقاعدهم عن المطالب العلا وجلائل الغايات ، وأساءوا الى الاسلام مرة أخرى من حيث لا يشعرون فقد تصور أعداء الاسلام الذين هاجموه أن المسلمين تتكشف فيهم مبادئه وتعاليمه ومن ثم كان الاسلام فى نظر من هاجموه مثل رينان وهانوتو وهو سر تأخر المسلمين وتخلفهم ·

ويعرض شوقى للماضى الاسلامى الزاهى أيام أن كان الاسلام حاضرا بقيمة العليا فى النفوس فأقام دولة وبنى أمه ورفع مجدا ومحا جهلا ·

وهو يعرض هذه الصورة الزاهية الرفيعة فى مقابلة صورة خسيسة لامم الضياع والضلال والعمى ·· ليعرف المسلمون الفرق الشاسع بين من صنعهم الاسلام على عينه بمبادئه الصحيحة وبين من صدوا عن هدى الاسلام وأغلقوا قلوبهم عنه ·

وليس ثمة توجيه مباشر لمسلمى اليوم على شكل «أوامر ونواه » فيها صرامة النثر وجفافه ولكن نهجه الفنى برز فى عرض « المتناقضين وبضدها تتميز الاشياء وترك الاختيار للمسلمين ·· وهو اختيار لا يصعب على من أوتى اثاره من عقل أو لمحة من ضمير ·

والموازنه ـ فى هذا النطاق بين الشاعرين ـ كما يقول الدكتور ماهر حسن فهمى تدلنا على قوة العاطفة القومية عند

حافظ وقوة العاطفة الدينية عنـد شوقى تلك العاطفة التى تشمل البلاد الاسلامية لهـا ، ووضوح الناحية الوطنية وتميزها عـن الدين عنـد حافظ وعلى اندماج الاثنين معا عنـد شوقى حتى لا نرى وطنه الا من خلال البلاد التى يجمعها الدين الاسلامى، حقيقة أن شوقى بعد أن صهره الحنين الى مصر والى ذكرياته فيها أيام نفيه ، وبعد أن عاش وسط الشعب بعيدا عن القصر بعـد عودته من المنفى بدأ يعبر عن شعور ذلك الشعب ويلتفت الى مصر فيطيل التفاته الا أنـه ظـل شاعـر المسلمين جميعا لا شاعر مصر وحدها (٣٣) .

(٣٣) د. ماهر حسن فهمى : شوقى شعره الاسلامى ٦٣ .

الفصل الرابع

القضايا والقيم

أولا : القضايـــا الدينيـــة

عاش المجتمع المصرى ـ ككل المجتمعات معرضا لكثير من الاحـداث والوقائع والتيارات المتوافقة والمتضاربـة فى مجـال الدين والسياسة والاقتصاد والعلوم والوطنية ، ومـن البدهى أن يكون لكل عصر من العصور طوابعه الخاصة وروحه العامة وجوانبه الكثيرة المتعددة التى يعبر كل فرد عن جانب منهـا فلا تستطيع شخصية من الشخصيات مهما عظمت واتسعت أن تعبر عن روح العصر : فالسياسى مثلا يعبر عن جانب من آراء العصر السياسية ، والفيلسوف يعبر عن جانب من مشاعر العصر واحساساته (١) ، ويذهب على أدهم الى أن الشاعر يصح أن يكون معبرا تاما عن روح العصر ، ولكن هـذا لايكون الا فى الاوساط التى تضؤل فيها الحياة الادبية ويضيق الافق الفكرى ويعلل ذلك بأن ضيق الافكار وانحصارها وبساطتها يمكنه من أن يتناول الحياة من جميـع أقطارها ويحيط بشتى جوانبها وأن ينسج لهـ من خياله شبـه شبكة تحويها (٢) ٠

والواقع أن الشاعر ـ أى شاعر ـ مهما بلـغ من فحولة وطبعومهما اتسعت دائرة معارفه وثقافته لا يمكن أن يكـون « معبرا تامـا » عن روح العصر ومناحى الحياة بكل جوانبها وطوابعها لانالشعر ليس رصدا فكريا تسجيليا لمشكلات المجتمع ومجريات حياته ، وما يموج به من تيارات وأفكار واتجاهات فلسفية ولان هذا فوق طاقة الشاعر ٠٠٠ أى شاعر كما أن هذا

(١) على أدهم : على هامش الادب والنقد ١٧٨ ٠
(٢) السابق نفس الصفحة ٠

يتعارض مع طبيعة الشعـر الذى هو فى بساطة الهام وابـداع وطبيعة الشاعر المطبوع الذى يعتبر «الحرية الذاتية» أهم سماته فهو لا يخضع الا لما عليه طبعه ومنهجه الحيوى وحتى لـو كـان ملتزما بالمفهوم الايديولوجى فهـو ليس ملزمـا بالمفهوم الاجبارى القهار فالالتزام بمفهومه الصحيح ، يعنى أن يتخذ الاديب بمحض ارادته واختياره الحر موقفـا فكريـا وعمليـا من قضايا وطنه ومشكلات قومه وأزمات الانسانية جمعاء(٣)٠

والاستقراء التاريخى يؤيد هذه الحقيقة، فليس فى التاريخ الانسانى الشاعر الذى احاط شعره بكل أقطار العصر وظهرت فى شعـره كـل بصمات العصر مهمـا ضاقت أفكـار هـذا المجتمع وانحصرت أو انحسرت ثقافاته ٠ وبعد ذلك يتبين لنا المقصود مـن مقولة شائعة وهى أن الشاعر فلانا كان « مرآة عصره » فـلا يفهم منها أنـه يتمثل كل شىء ويصور كـل شىء ويعكس كـل شىء بـل يجب أن نفهـم من ذلك أنـه يعكس ما تقبل طبيعته النفسيه وما تستجيب نفسه ـ برؤيته الشعرية الخاصة الى تمثله وتمثيله ٠

● ● ●

وحافظ ابراهيم كان بهذا المفهوم مرآة من مرايـا عصره ومجتمعه وقد تمثل فى شعره طبائعه النفسية وكثير من ملامح المجتمع وقضاياه وقيمـه ٠

وقد قصدنا بهذه الصفحات أن نحدد موقفه من القضايـا ذات الطابع ـ الاسلامى ، أو التى لها وشيجه بالاسلام ، كمـا

---

(٣) د٠ أحمد هيكل دراسات أدبيه ص ١٦ ٠

أردنا أن نحدد بها القيم الاسلامية فى شعره ولـو على سبيـل الالمـاح ٠

وقد عرضنا من قبـل فى مقـام حديث عن مكان الخليفة العثمانى فى شعره موقفه من قضيـة «الخلافة العثمانية» وهى قضية لهـا جانبها الدينى فى المقام الاول ثـم جانبها السياسى بعد ذلك ٠ وسنحاول فى الصفحات التالية أن نعايش «حافظ» وشعره وموقفه مـن بعض القضايا الاجتماعية والفلسفية التى لهـا الصلة بالدين على نحو من الانحاء ٠

(١) السفـور والحجـاب

ولعل من أهم القضايا التى شغلت المجتمع وكـان لهـا صداها فى الشعر قضية «السفور والحجاب» وقد بدأت المعركـة بصدور كتاب «تحرير المرأة» لقاسم أمين (٤)، وأغلب ماسجله الكتاب مـن آراء قاسم أمين يعتبر معتدلا جـدا اذا اعتبرناه بمقياس عصرنا ، ومنها :

١ ـ ضرورة تعلم المرأة كـل ما ينبغى أن يتعلم الرجل من التعليم الابتدائى ، على الاقل (٥) ٠

---

(٤) قاسم أمين (١٨٦٥ ـ ١٩٠٨) تعلم فى مصر ودرس الحقوق فى فرنسا وعمـل بالقضاء وقـد أحـدث هزاهز شديدة فى الأوساط الفكريـة والاجتماعية والدينية بكتابيـة المشهرين « تحرير المـرأة » و « المـرأة الجديـدة » أنظـر الاعـلام ١٩٨٤/٥ ٠

(٥) أنظر تحرير المـرأة ص ١٨ ٠

٢ - السماح للمرأة بالعمل فى حالة الضرورة ومن هــذه الحالات : وفاة الزوج أو فقره ، أو عدم زواجها وليس هناك مـن يعولهـا (٦) .

٣ - أن يكون حد السفور هو الحجا بالشرعى ، بمعنى أن تظهر المرأة وجهها وكفيها وفى ذلك يقول قاسم أمين ، انى لا أقصد الان رفع الحجاب دفعة واحدة ، والنساء على ماهى عليه اليوم ، فان هذا الانقلاب ربما ينشأ عنـه مفاسد جمــة ، لايتأتى معها الوصول الى الغرض المطلوب ، كما هو الشان فى كل انقلاب فجائى ، وانما الذى أميل اليه هو اعداد نفوس البنات فى زمن الصبا لهذا التغيير (٧) .

وقوله هذا يعنى أن آراءه هذه مرحلية وأنه اذا كان قد دعـا الى الحجاب الشرعى فمـا زال فى جعبته ما هـو أشـد وأحد ، وهذا فعلا ما أدخره لكتابه الثانى المرأة الجديدة الذى كـان متطرفا فيه أشـد التطرف ، وفيه يدعو الى انطلاق المرأة الى كل مجالات العمل مثل التدريس والطب والتجارة والحرف الادبيــة (٨) . ومن حق المرأة كذلك أن تنال أكبر قــدر مــن التعليم وفى كل المراحل .وأخطر من كل أولئك دعوته الصريحة الى سفور المرأة وتخليها تماما عن الحجاب الشرعى (٩) .

وينطلق من هذه الدعوة الخاصة الى الثورة على كــل ما هو سلفى فيدعو صراحة الى النهل من الحضارة «الغربية»

---

(٦) أنظـر السابق ٣٤ .
(٧) تحرير المـرأة ٩٢٥ .
(٨) أنظر المرأة الجديدة ٤٩ .
(٩) أنظـر السـابق ١٠٨ .

وتربية أولادنا على أن يتعرفوا شئون المدنية الغربية ويقفوا على أصولها وفروعها وآثارها »(١٠) لانه من المستحيل أن يتم اصلاح ما فى أحوالنا اذا لم يكن مؤسسا على العلوم العصرية الحديثة (١١) ٠

وقد أحدثت راؤه ـ ابتداء من كتابه الاول ـ ضجة كبرى فى الاوساط الدينية والاجتماعية وذهب الى أن محمد عبده هو الذى أوحى اليه بالفكرة وآخرون أن وراءها لورد كرومر ، واتهمه قوم بالمروق من الدين ، وذهب أحد معارضيه الى بيته وطلب أن يجتمع بزوجة قاسم على انفراد مطبقا لدعوته(١٢)٠

وقامت معركة عاتية فى الصحف بين مؤيد ومعارض كما قام كثير من الكتاب بنقد وينقض آراء قاسم ، فالفت كتب عديدة منها : « تربية المرأة والحجاب » لمحمد طلعت حرب و «السنة والكتاب فى حكم التربية والحجاب » لمحمد ابراهيم القاياتى «والجليس الانيس فى التحذير عما فى تحرير المراة من التلبيس » لمحمد احمد حسنين البولاقى ، و «خلاصة الادب» لحسين الرفاعى ، و « نظرات فى السفور والحجاب» لمصطفى الغلايينى ، و « قولى فى المرأة » لمصطفى صبرى و « رسالة الفتى والفتاة » لعبد الرحمن الحمصى (١٣) ٠

ومن كتب المؤيدين لاراء قاسم « رسالة فى نهضة المرأة

---

(١٠) المرأة الجديدة ١٨٤ ٠
(١١) السابق نفس الصفحة ٠
(١٢) أنظر ماهر حسن فهمى : قاسم أمين ١٣٥ ٠
(١٣) أنظر السابق ١٤٠ ٠

المصرية والمرأة العربية » لعبد الفتاح عبادة و « أكليل غار على رأس المرأة » و « النسائيات » لجرجى نقولا باز ٠

وانقسم الشعراء كذلك مابين مؤيد ومعارض على مستوى الوطن العربى كله فمن المعارضين الشاعر جواد الشيبى وعبد المحسن الازدى واحمد محرم والشاعر الشامى أديب النقى ، أما المؤيدون فمنهم معروف الرصافى وجميل صدقى الزهاوى (١٤) كل ذلك ثار حول آراء قاسم أمين فى كتابه الاول تحرير المرأة الذى صدر سنة ١٨٩٩ وقد تولى الرد على ما أثير حول كتابه وانطلق أكثر تطرفا وجرأة فى كتابه «المرأة الجديدة » الذى صدر سنة ١٩٠٦ ٠

كانت هذه هى القضية وما أثارته من عجاجات كلامية وهى قضية اجتماعية فى المقام الاول بلا شك اذ هى تتعلق بمظهر المرأة فى المجتمع المصرى وحقها فى الكشف عن وجهها واختلاطها بالناس بعد ازالة هذا « الحجاب » الذى عاشت خلفه على مدى القرون السابقة ٠ أما الوجه الدينى فى القضية فيتمثل فى الحكم الشرعى مابين تحريم واباحة ، فالذين حرموا يرون أن السفور يصطدم بنصوص دينية أهمها قوله تعالى «وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » والذين اباحوه أسدلوا بأحاديث نبوية تبيح كشف الوجه والكفين ، وبالضرورات الاجتماعية التى قد تتطلب من المرأة الكشف عن وجهها ٠

● ● ●

(١٤) أنظر السابق ١٤٦ ٠

فمـا موقف حافظ من هـذه القضيـة ؟

كعهدنا بحافظ لا نستطيع أن نعثـر لـه على « الرأى الواحد » أو الاراء . المتوافقة أو المتكاملة فى الموضوع ، ولكنه منطق الحذر والتـردد والتقدم مـرة للتأخر مرات وأول رأى لحافظ ابراهيم فى مسألـة الحجاب والسفور كـان فى قصيـدة يخاطب بهـا قاسـم أميـن فيقول :

أقاسم أن القوم ماتت قلوبهم
ولم يفقهوا فى السفر ما أنت كاتبه
الى اليوم لم يرفع حجاب ضلالهم
فمن ذا تناديه ومن ذا تعاتبـه
فلو أن شخصا قـام يدعو رجالهم
لوضع كتاب لا ستقامت رغائبـه
ولو خطرت فى مصر حواء أمنـا
يلوح محباها لنـا ونراقبـه
وفى يدها العذراء يسفر وجهها
تصافح منا من ترى وتخاطبـه
وخلفها موسى وعيسى وأحمـد
وجيش من الاملاك ماجت كواكبـه
وقالو لنا ، رفع الحجاب محلل
لقلنا : نعم حق ولكن نجانبـه (١٥)

وواضح أن الابيات تنعى على نوعين من الحجاب حجاب نفس هو حجاب الضلال وحجاب حس وهو حجاب الوجه ويرى

---

(١٥) الديوان القـديم ٨١/١ . طبعة ١٩٠٣ نقـلا عن د. عبد الحميد الجندى : حافظ ابراهيم شاعر النيل فالقصيدة غير موجودة فى الطبعة التى بين أيدينا .

أن الاول هو اصل الثانى ، وأنه فى البيت الثانى يردد قـول الشاعر القديم :

لقد اسمعت لو ناديت حيـا
ولكن لا حياة لمن تنـادى

ومن لوازم « حجاب الضلال هذا » انكار الحق مهمـا كـان واضحا بيننا وفى ـ الابيات حملة ضاربه لا على الحجاب فقط ولكن على التخلف والضلال ومجانبة الحق .

● ● ●

وبعد ذلك بعدة سنوات كان لحافظ وقفـة أهدأ بكثير من صرخته هذه العاتيه نلمس ذلك فى قصيدته التى رثى بها قاسـم أمين فيقول مخاطبا أيـاه (١٦) .

أن ريت رأيا فى الحجاب ولـم
تعصم فتلك مراتب الرسـل
الحكم للايـام مرجعـــه
فيمـا رأيت فنـم ولا تسـل
وكذا طهاة الرأى تتركـــه
للدهر ينضجه على مهـــل
فاذا أصبت فانت خيـر فتـى
وضع الدواء مواضع العـــلل
أو لا فحسـبك مـا شرفت بـه
وتركت فى دنياك من عمـــل

---

(١٦) الديوان ١٥٦/٢ وقـد توفى قاسـم فى ٢٢ أبريل ١٩٠٨ ونشرت هذه القصيدة فى ٦ من يونيو ١٩٠٨ .

والحقيقة ان هذه الابيات لاتكشف من بعيد أو قريب عن رأى لحافظ فى الحجاب والسفور وأن تضمنت فكـرة اجتماعية وتوجيها عقليا سديدا مؤداه اننا يجب الا نتسرع فى الحكم على الافكار والاراء ، بـل يجب أن نأخـذ أنفسنا بالاناه والصبـر فالذى نعتقد أنه « جوهر الخطأ والخطيئه اليوم » قـد يكون هـو « قمـة الصواب والسداد فى المستقبل » . والرجل اذا أصاب فقـد حقق الغايـة واذا أخطأ فلـه مـن جلائل الاعمال مـا يشفع لـه على حـد قـول الشاعر :

من يركب الهائل من أمـره
فعذره فى ذلك المركـب

وفى سبتمبر من العام نفسه يهنىء السلطان عبد الحميد بعيد جلوسه ويشير الى عفوه عن معارضيه وعودتهم الى تركيا ويشير كذلك الى سفـور النساء فى تركيا واختلاطهن بالرجال بمـا يوحى بعدم اعتراضه على هذا المسلك فيقول :

خلعوا الشباب على البشير وأخلقوا
باللثـم عهـد خليفـة الرحمـن
وتعانقوا بعـد النوى كخمائـل
يحلـو بهـن تعانـق الافصـان
فترى النساء مـع الرجال سوافـرا
لا يتقيـن عـوادى الاجفـان
عجبا لهن وقـد خلقن أوانـا
يبرزن فى فـرح وفى أحزان(١٧)

---

(١٧) الديوان ٤٨/١ .

وقـد يدعم هذا الفهـم وذاك الايحاء أن «حافظ» حينما تحدث عن الحرية فى البيت التالى مباشرة كنى عنها «بحاسرة اللثـام » اذ يقـول :

أهـلا بحاسرة اللثام ومـن اذا
سفرت عنـا لجمالها القمران
خطرت فعطرت المشارق عندمـا
هبت نسائمها مـن البلقان (١٨)

ويأتى بعـد ذلك رأى صريح لحافظ فى هـذه المسألة فى القصيدة التى ألقاها بمدينة بورسعيد فى ٢٩ مايو ١٩١٠(١٩) وهـو رأى يعتمـد على الحكمة الخالدة «خير الامور الوسط» بـلا أفراط أو تفريط فيقـول :

أنا لا أقول دعوا النساء سوافرا
بيـن الرجال يجلـن فى الاسواق
يدرجن حيث أردن لا من وازع
يحذرن رقبتـه ولا من واقـى
يفعلن أفعال الرجال لواهيـا
عـن واجبات نواعس الاحـداق
فى دورهن شئونهن كثيـرة
كشئـون رب السيـف والمـزراق
كلا ولا أدعوكم أن تسرفوا
فى الحجب والتضييق والارهـاق

---

(١٨) السـابق نفس الصفحة .
(١٩) الديوان ٢٧٩/١ .

ليست نسأؤكم حلى وجواهرا
خوف الضياع نصان فى الاحقـاق
فتوسطوا فى الحالتين وانصفوا
فالشر فى التضييق والاطـــلاق
ربــوا البنــات على الفضيلة انهـا
فى الموقفين لهــن خيــر وثـــاق
وعليكم أن تستبين بناتكــم
دور الهدى وعلى الحيــاء الباقى

وكأنى بحافظ يرى أنه لا يمنع أن تتمتع المرأة بحظ من السفور يعنى كشف الوجـه والخروج الى الحيـاة العامـة اذا ما توفر فيهـا شرطــان :

الأول : أداء رسالتها الاسرية المنزلية أما وزوجه وفتاة.

والثانى : أن بكون لها حجاب معنوى من الخلق والدين والعلــم والحيــاء ٠

ولا شك أنه رأى له قيمته ، وهو فى مضمونه العام يتفق مــع روح الدين ورسالته التربوية والاجتماعية ٠

● ● ●

وفى سنــة ١٩١٨ يرثى باحثــه البادية ملك حفنى ناصف (١٨٨٦ - ١٩١٨) (٢٠) وهى التــى ثبتت دعــوة قاســم أمين ، وأخذت نفسها بهذه الدعوة فعاشت طيلة حياتها تفضل

---

(٢٠) الديوان ١٩٣/٢ ٠

السفور على الحجاب ، وفى هـذا الرثـاء ينعى على السفـور ويزرى بالسافرات ويصفهن بالجهل والتجرد من الصون والعفاف والوازع الخلقى ٠

انى رأيت الجاهـــلات
السافرات عــلى خطـــــر
ورأيت فيهن الصيـــانة
والعفــاف عــلى سفــــر
لا وازع وقــد انطـــوت
ملــك يقيهــن الخطـــر

وهكذا كان رأيه أو آراؤه فى هذه القضية يحكمها التردد والحذر ويعوزها التحديد والحسم أو بتعبيــر أدق هى اشعـار لاتعكس رؤيـــة واضحة ثابتة تسير فى خط واحد للنهاية انمـا هى نفثات ينقض بعضها بعضا ومن ثـم يمكن وضـع صاحبها فى صف أصحاب الفكرة أو المذهب الواحد ٠

والعجيــب أن شـوقى ــ وهو أكـثر من حافـظ ثبــاتا واستقرارا فى الرأى والاتجاه كان شأنه فى هذه القصيدة شـأن حافظ ترددا بين الرفض والموافقة ٠ فهو فى رثائه قاسـم أمين نجده فى رفق وهواده ــ يرفض دعوة قاسـم أمين الى السفور ويرى فى الحجاب تعففـا وتصونا ولكن بلا مغــالاة واسراف وتزمت حتى يحقق الحجاب الحكمة التى شرعت من أجله ٠

يقول شوقى :

ان الحجــاب ســـماحة ويســارة
لولا وحــوش فى الرجــال ضــوار

جهلوا حقيقته وحكمة حكمه
فتجاوزوه الى أذى وضرار(٢١)

ولكن شوقى فى قصيدة له نظمها بالاستانة عن (كوك صو) وهو موقع طبيعى ذو خضرة وماء يدعو صراحة السفور ويرى أن الحجاب الحقيقى هو « الحجاب النفسى الخلقى » وليس تغطية الوجه بالحرير أو الدمقس :

فقل لجانحين الى حجاب
أتحجب عن صنيع الله نفس
اذا لم يستر الادب الغوانى
فلا يغنى الحرير ولا الدمقس

ولا شك ان شوقى قد تأثر فى هذه القصيدة بمظاهر السفور التى رآها فى تركيا بدليل قوله قبل ذلك فى القصيدة نفسها مخاطبا ماء (جكسو) ٠

وردتك كوثرا وسفرن حورا
وهل بالحور أن أسفرن بأس

وبعد أن ينعى على دعاة الحجاب مشيرا الى هؤلاء السافرات فى « كوك صو »

تأمل هل ترى الا جلالا
تحس النفس منه ما تحس(٢٢)

---

(٢١) الشوقيات ٧٨/٣ ٠
(٢٢) الشوقيات ٥٣/٢ ٠

ولا يكتفى شوقى بهذه الدعوة الرفيعة الرقيقة بل يتخذ من النعى على الحجاب والدعوه الى السفور منطلقا للدعــوة الى حــرية المراة(٢٣) وقد شبهها بطائر :

أو هــى جنــاحيه الحــديـ ــد وحــز ســاقيه الحــرير
ذهب الحجــاب بصـــيره واطــال حـــيرته السفـــور

ويصرخ فى دعاة الحجاب مستنكرا أن يكون مصير المرأة الزواج والحبس فى البيوت أكواخا كانت أو قصورا فكل ذلك سجن لهذا الطائر ينكره شوقى فى شعره ويخلص من كل ذلك الى

أن السمـــــاء جـــديرة بالطـــير وهــو بهــا جـــدير
هى سرجـة المشـــدود وهـ ـــو على اعنهـــا امـــير
حـــرية خـــلق الانـــا ث لهــا كما خـــلق الذكـــور

ثم ينتهى الى الثنـاء على قاسم أمين ودعــوته ، وكيف انتصرت دعوته وسارت مسرى الامثال فهى دعوة تعتمد عــلى « الكلام العف والجدل الوقور والبيان الجزل والعلم الغزيــر ليس للكتاب والسنة عليهــا نكير » ٠ واذا كان حافظ قــد بدأ متحمسا للسفور وانتهى كافرا به حاملا عليه ، فعلى العكس من ذلك بدأ شوقى متحمسا للحجــاب داعيا اليــه وانتهى الى القناعة والاقتناع بالسفور والثنــاء على الداعى اليه الحــامل لواءه قاسم أمين ٠

---

(٢٣) أنظر القصيدة فى الشوقيات ١٦٦/٢ ٠

٢ ـ قضية الشـك والايمان

وفى قصيدة حافظ التى نظمها سنة ١٩١٧ فى رثاء شبلى شميل(٢٤) ـ (١٨٥٠ ـ ١٩١٧) الذى كان يتبنى آراء دارون ، واشتهر فى أوساط الفكر والادب ـ بالالحاد ـ نرى حافظا يدفع عنه تهمة الالحاد بداعيتين :

الاولى : ما فى الكون من مظاهر وخفايا وأسرار تدفـع الباحث فى مسيرة بحثـه ـ لعظمة ما يرى وترامـيـه فى البعـد والعمق ـ الى الحيرة والشك ٠

الثانية : أن شك الباحث فى هذا المجال ليس هو الشك الهادم بمفهومه الدارج أى الشك الذى ينكر قدرة الخالق بل ينكـر وجوده انمـا هو الشـك الموصـل لليقـين ، أو الشـك الديـكارتى ، أو ما يسميه بعض المفكـرين المسلمـين بالشـك الابراهيمى استنادا الى حديث رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ « نحن أولى بالشك من ابراهيم اذ قال : رب أرنى كيف تحيى الموتى ٠ قال أو لم تؤمن ؟ قـال : بلى ولكن ليطمئن قلبى » ٠

أن حافظ يقرر هذا الحكم فى بيت واحد يستهله باستفهام تقـريره مخاطبا شبلى شميل :

هل أتاك اليقين من طرق الشك فشك الحكيم بدء الصواب

فشك شبلى شميل لم يكن وراءه كفر ولا الحاد ٠ لم يكن شكا لذات الشك ، وانكار العقيدة والوجود الالهى ، لا شىء من

---

(٢٤) الديوان ١٨١/٢ ٠

هذا ، انما أنكر ليصل الى المعـرفة : وشك ليصـل الى أعلى مراتب اليقين ، انه الشك المنهجى الديكارتى البناء .

ثم يفصل صورة « الشك المنهجى » فيقول :

أطـلق الفكـر فى العـوالم حـــرا
مســتطيرا يربغ هتـــك الحجـاب
يقرع النجم سائلاثم يرتد الى الارضباحثا عن جواب
أعجـزته من قـــدرة الله أسـباب
مستـيرا يربغ هتـك الحجـاب
وقفت دونهـــا العقـول حيـارى
وانثنى هـبرزيهـا وهـــو كـابى
لم يكن ملحـــدا ولكن تصـــدى
لشـئون المهيمن الوهـــاب (٢٥)
رام ادراك كنــه ما عجـز النـاس
قـــديما فـلم يفـــز بالطـــلاب

واضح أن حافظ قد مس هذه القضية مسا خفيفا فلم نجد له فيها رؤية خاصة لها قيمتها . انما نظر للمساله فى شكلهـا العـام دون تعمق .

٣ ـ قضية الخير والشر

وقضية الخير والشر قضية فلسفية دينية ترتبط فى جوهرها بالوجود الانسانى واستقرار الناس وسلامهم على وجه البسيطة.

(٢٥) كان شبلى شميل (١٨٥٣ ـ ١٩١٧) فى واقعـة ملحدا اسالعا فى الالحاد ، وكان يجهر بالالحـاد ويفخـر به ولا يخفيـه .

وكانت مشكلة الخير والشر والصواب والخطأ هى أول ما واجه الانسان الاول فى الوجود وهو آدم عليه السلام ـ بل كانت هذه القضية هى مدار حديث بين الله سبحانه وملائكته قبل أن يوجد الانســان على الارض « واذ قال ربك للملائـكة انى جاعل فى الارض خليفة . قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى أعلم ما لاتعلمون »(٢٦)

ثم كانت الخطيئة الاولى أو الشر الاول وهو مخالفة ابليس للذات العلية فى السجد لآدم(٢٧) .. ثم كان الخطـأ الثانى مخالفة آدم لامر ربه فكما خرج ابليس من رحمة الله خرج آدم من الجنة ليعيش هو وأبناؤه « المعاناة البشرية »(٢٨) حيث بدأت ظاهرة الصراع تتجسد فى أول خطيئة غيرية على وجـه الارض وهى قتل قابيل لاخيه هابيل(٢٩) .

وكان أولئك اشـارة أزليـة الى أن « الصراع » ضرورة وجودية لا يستطيع الانسان أن يتجنبها وذلك راجع الى أمرين :

الاول : طبيعـة تكوين الانســان ذاته فقد جمع فى كيانه الجسدى النقيضين : الشهوات الدنيا والسمو النفسى أو الاشواق الروحيـة .

الثانى : طبيعـة المعايشة والمخالطـة وما يقتضـيه كسب العيش واثبات الوجود من التطاحن والتناحر .. فالخير المحض مستحيل الوجود فى العالم الارضى .

---

(٢٦) البقـرة ٣٠ .
(٢٧) أنظـر البقـرة ٣٤ .
(٢٨) أنظر البقرة ٣٥ ـ ٣٦ .
(٢٩) أنظر قصتهما فى سورة المـائدة ٢٧ ـ ٣١ .

وهذا « الصراع » هو أساس العمران وتقدم الحياة على الرغم مما فيه من مظاهر التدمير وهذا ما اشار اليه قوله تعالى « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين »(٣٠) ٠

يقول الامام محمد عبده « أى لولا أن الله يدفع أهل الباطل بأهل الحق ، وأهل الفساد فى الارض بأهل الاصلاح فيها لغلب أهل الباطل والافساد فى الارض وبغوا على الصالحين وأوقعوا بهم ، حتى يكون لهم السلطان وحدهم فتفسد الارض بفسادهم فكان فضل الله على العالمين واحسانه الى الناس أجمعين أن أذن لاهل دينه الحق المصلحين فى الارض بقتال المفسدين فيها من الكافرين والبغاة والمعتدين فأهل الحق حرب لاهل الباطل فى كل زمان ، والله ناصرهم ما نصروا الحق وأرادوا الاصلاح فى الارض ٠ وقد سمى هذا دفعا ـ على قراءة الجمهور ـ باعتبار أنه منه سبحانه اذا كان سنة من سنته فى الاجتماع البشرى وسماه دفاعا ـ فى قراءة نافع ـ باعتبار أن كلا من أهل الحق المصلحين وأهل الباطل المفسدين يقاوم الاخر ويقاتله »(٣١) ٠

وقد لخص حافظ هذا المعنى فى قصيدة يرثى بها تلستوى فيقول :

أبت سنة العمران الا تناحرا
وكدحا ولو أن البقاء يسير

(٣٠) البقرة ٢٥١ ٠
(٣١) تفسير المنار ٢/٤٩١ ٠

تحـاول رفـع الشـر والشر واقع
وتطلب محض الخير وهو عسير(٣٢)

ويقول العقاد : يوم عرف الانسان الشيطان كانت فاتحـة خير ٠ ٠ فقد كانت معرفة الشيطان فاتحة التمييز بين الخـير والشر ، ولم يكن بين الخير والشر من تمييز من قبل أن يعرف الشيطان بصـفاته وأعمـاله وضروب قدرته وخفـايا مقاصـده ونيـاته(٣٣) ٠

وفى ذلك يقول حافظ ابراهيم :

ولولا امتزاج الشر بالخـير لم يقم
دليـــل على أن الاله قـــدير
ولم يبعث الله النبيـين للهـــدى
ولم يتطـــلع للســـرير أمـــير
ولم يعشق العليـاء حر ولم يســد
كـريم ولـم يـرج الثـراء فقـــير
ولو كان فينا الخير محضا لما دعا
الى الله داع أو تبـــلج نـــور
ولا قيـل هـذا فيلسـوف موفـق
ولا قيـل هـذا عـالم وخبـــير
فكم فى طـريق الشر خـير ونعمـة
وكم فى طريق الطيبات شرور(٣٤)

---

(٣٢) الديوان ١٦٦/٢ ٠
(٣٣) العقاد : ابليس ص ٨ ٠
(٣٤) الديوان ١٦٦/٢ ٠

فوجود الشر جنبا الى جنب مع الخير دليل على قدرة الله سبحانه وتعالى فهو القادر وحده على خلق المتناقضات والمختلفات مهما تعددت وهى أدل على قدرة الخالق من خلق المتشابهات أو المتماثلات ، وقد أدرك هذا المعنى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكان اذا رأى رجلا عييا أفه قال :

أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد .

لذلك كانت اصابة الانسان الخير كنزول الشر به كلاهما ابتلاء واختبار للانسان وقد قال تعالى : « ونبلوكم بالشر والخير فتنة »(٣٥) .

والابتلاء بالشر مفهوم أمره ليتكشف مدى احتمال المبتلى، ومدى صبره على الضر ومدى ثقته فى ربه .. أما الابتلاء بالخير فأشد وطأة ان خيل للناس أنه دون الابتلاء بالشر .

ان كثيرين يصمدون للابتلاء بالشر ، ولكن القلة القليلة هى التى تصمد للابتلاء بالخير : كثيرون يصبرون على الابتلاء بالمرض والضعف ، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الابتلاء بالصحة والقدرة .. كثيرون يصبرون على الفقر والحرمان فلا تتهاوى نفوسهم ولا تذل ، ولكن قليلين هم الذين يصبرون على الثراء والوجدان وما يغريان به من متاع وما يثيرانه من شهوات وأطماع ...

ان الابتلاء بالشدة قد يثير الكبرياء ، ويستحث المقاومة ويجند الاعصاب فتكون القوى كلها معبأة لاستقبال الشدة

(٣٥) الانبياء ٣٥ .

والصمود لها ، أما الرخاء فيرخى الاعصاب وينميها ويفقدها القــدرة على اليقظة والمقاومة(٣٦) ٠

فوجه الخير فى الشر أو فى وجود الشر ـ ان صح هــذا التعبــير ـ أنه قوة « باعثة دافعة » فهو سر بعث الله الانبياء والرسل لهداية البشرية للحق والخير والنور والعدل ٠٠٠ والشر يحاول أن يقعد بالانسان ويشده دائما الى الخسائس والمراتب الدون ولكن الله برحمته يهب الانسان قبسة النور التى تزرع فى أعماقه طموحات ناشطة وأشواقا تتطلع دائما الى الفكاك والتخلص من أسره وعض قيوده ٠٠ فينزع المحكوم الى قيادة أمته وحكمها وينزع الحر الى العلياء وكريم النفس الى السيادة وينزع الفقير الى تحصيل المــال وتكوين الثروة تمردا عــلى أسار الفقر وذلة الحاجــة ، ولو كانت الدنيا يحكمها الخــير المحض لمــاتت ارادة الانسان ومطامحه النزاعة الى القيم العليا والافاق النيرة ولا ظهرت فضيلة العلم على الجهل ، ولا فضيلة الخبرة على السذاجة ٠٠ ولا قيمة النور فى مواجهة الظلام ٠ وفى كلمات ما أصبح « للقيم العليا وجود » لان علويتها نابعة من سفلية النقيض ٠٠ واحيل القارىء مرة أخرى الى التعبير المكثف الجامع للعقاد « الخير مدين فى وجوده للشر ٠٠ فلولا الظــلام ما استشعرت نفس نورا ٠٠ ولولا الابليسية ما كانت الملائكية فى هذا الوجود » ٠

---

(٣٦) سيد قطب : فى ظلال القرآن المجلد الخامس ٣٣ ٠٥

٤ ـ قضية الكفاءة فى الزوجية(٣٧)

وبطل هده القضية هو الشيخ على يوسف صاحب جريدة المؤيد (١٨٦٣ ـ ١٩١٣) وكان بينه وبين السيد أحمد عبد الخالق السادات شيخ السادة الوفائية صلة مودة وصداقة فخطب الشيخ على ابنته صفية ، ورضيت الفتاة وسكت الاب ،

---

(٣٧) الكفاءة شرط من شروط صحة الزواج . والكفاءة لغة تعنى المساواة والمراد بها فى النكاح المساواة بين الزوجين فى أمور مخصوصة يعتبر الاخلال بها مفسدا للحياة الزوجية ، وقد اختلف الفقهاء فى هذه الامور . وهى عند الحنفية المعمول بمذهبهم فى مصر ستة أمور هى : النسب والاسلام والحرية والمال والديانة والحرفة على اتفاق فى بعض الامور واختلاف فى بعضها . وقد اتفق أئمة المذهب الحنفى على أن الكفائة فى النسب معتبرة عند العرب وعلى أن غير العربى ليس كفئا للعربية ، والقرشى كفء لكل عربية ولو كانت هاشمية ، ولكن روى عن محمد أنه استثنى بيت الخلافة كما روى عن أبى يوسف أن « المولى » ان اشتهر بفضل من علم أو أحرز من الفضائل ما يرفع مكانته عند الناس يصير كفئا للقرشية بل الهاشمية . وقد أخذ بذلك فى المذهب الحنفى ولذلك تقرر فيه أن العالم الاعجمى كفء للقرشية العربية بل العلوية الفاطمية لان شرف العلم فوق النسب . وذهب زيد بن على ومالك وروى عن عمر وابن مسعود وابن سيرين وعمر بن عبد العزيز أنهم لا يعتبرون الكفاءة الا فى الدين .

(أنظر بتفصيل محمد أبو زهره الاحوال الشخصية من ص ١٥٦ الى ص ١٦٨ وخصوصا صفحتى ١٥٦ ـ ١٥٧) وانظر الصعيدى : القضايا الكبرى فى الاسلام ص ٣٦٨ ـ ٣٨١ .

فعقد العقد فى بيت البكـرى من غير عـلم الاب ، فرفع الوالد الامر الى المحكمة الشرعية طالبا فسخ العقد لعدم الكفـاءة فى النسب ، ودافع الشيخ على عن نفسـه ، واثبت شرف نسـبه بتسجيل اسمه فى دفتر الاشراف وقضت المحكمة بالحيلولة المؤقتة بين الزوجين ، ثم قضت بعد ذلك بفسخ عقد الزواج فى أغسطس سنة ١٩٠٤ ، **فاستأنف الزوج الحـكم أمام المجلس الابتـدائى الشرعى فى محكمة مصر الشرعية الكبرى ، فقضت بتأييد الحكم بتاريخ أول أكتـوبر سنة ١٩٠٤ ، وكان لهـذه القضية ثورة فى الرأى العام فاضت بها الصحف وأكثر فيها الشعراء(٣٨) ٠**

وقد نظم حافظ ابراهيم قصيدة من خمسة وثلاثين بيتـا بهذه المناسبة عنوانها : (زواج الشيخ يوسف صاحب المؤيد) ليدلى بدلوه فى هذه القضية التى خاضت فيها السن وأقلام ٠ والحقيقة أن عنوان القصيدة لا يتفق مع مضمونها اذ أن أغلبها كان نقدا للمجتمع المصرى أبرز به حافظ بعض ما يراه فيه من عيوب ونقائض ٠ فيسجل على هذا المجتمع ضياع حق الاديب فيه وسلبيـه المصريين فى مواجهـة الاستعمار ، ولهو الشباب وعبثهم والفجوة الهائلة بين الشباب والشيوخ أو بين الابنـاء والاباء ، كما نعى عليه فساد الخلق وفساد الصحافة والنفـاق والغدر والخيانة والكسل والخمول والتواكل ٠ وكأنى بحافظ لم يترك نقيضة واحدة الا والصقها بالمجتمع المصرى ٠ ولم تظفر قضية الزوجية الا بأقل من ثلث القصيدة ٠ ولم يناقش الشاعر أصل القضية ومفهوم الكفاءة فى الزواج ومدى اتفاقه أو اصطدامه

---

(٣٨) أنظر ديوان حافظ هامش ٢٥٦/١ واقرأ القضية برمتها فى كتاب القضـايا الكبرى فى الاسـلام للمرحوم الشيـخ عبد المتعال الصعيدى من ص ٣٦٨ ــ ٣٨١ ٠

بالقيم الانسانية وخاصة أن اشتراط الكفاءة فى مسالة خلافية فى الفقه الاسلامى حتى الذين اعتبروها شرطا من شروط صحة الزواج اختلفوا فى مفهومها وحدودها ولكنه اكتفى بمس الموضوع مسا خفيفا فى صورة حكائية تقريرية فكهة فيقول :

وقالوا (المؤيد) فى غمـــرة
رمـاه بهـــا الطمـع الاشعبى
دعـاه الغـرام بسن الكهـول
فجـن جنونا ببنت النبـــى
فضج لهـ العرش والحاملوه
وضج لهـا القبـر فى يثـــرب
ونـادى رجـال باسقاطـه
وقالـوا تلـون فى المشــــرب
وعـدوا عليـه من السيئـات
الوفـا تـدور مـع الاحقـــب
وقالوا لصيق ببيـت الرسـول
أغـار على النسـب الانجـب
وزكى (أبو خطوة) قولهـم
بحكم أحـد مـن المضـرب (٣٩)

ولكن حافظ ابراهيم يعود بعد تسع سنوات فيرثى الشيخ على يوسف فى قصيدة أطول من السابقة يتحدث فيها عن جهوده وجهاده فى ميدان الصحافة بصفة خاصة ولا يشير الى هذه القضية من قريب أو بعيد ولكنه يختمها بفكرة انسانية تعتبر من أرقى القيم الانسانية ومؤداها أن العمل هو معيار الفضل

(٣٩) الديوان ٢٥٦/١ .

وأنـه هـو النسب الحقيقى الـذى يشرف صاحبه ويرفـع مـن قيمتـه فيقـول :

أبـا بثينـة نم يكفيـك ما تركت
فينا يداك وما عانيت من تعب
جاهدت فى الله والاوطان محتسبا
فارجع الى الله مأجورا وفز وطب
واحمل بيمناك يوم النشر ما نشرت
تلك الصحيفه فى دنياك وانتسب(٤٠)

ثانيـا : القيـم الاسلاميـة

تحدث حافظ عن كثير من الفضائل والقيـم الاخلاقية فى تضاعيف عشرات من قصائده فى المدح والتهانى والمراثى والوصف والاهاجى ٠٠ وهذا الجانب يحتاج وحـده الى بحث مستقـل ولكننا نقصد فى السطور التالية الى بعض هذه الصفات والفضائل التى تنبثق أو ترتبط بجوهر الدين وأصوله ومثله العليا ٠

وشعره فى هذا المجال يأخذ وجهتين :

الوجهه الاولى : استنكار ما يتعارض مع الدين من خلق وعادات وتقاليـد وضلالات ٠

الوجهه الثانية : الاشاده بالقيم الدينية وبيـان محاسنها والدعوة الى أخذ النفس بها على مستوى الفرد والجماعة ٠

يحمل حافظ بشدة على كثير من البدع والضلالات التـى تسىء الى الدين الحق ويشتد نكيره بصفة خاصة على هـؤلاء

---

(٤٠) الديوان ١٧٥/٢ ٠

الذين يقدسون قبـور الاولياء ويطوفون بهـا مـا يطوفون ، كانهـم يخصونها بالعبادة مـن دون الله ، ويستصرخ الامـام محمد عبده أن ينقذ هذه النفوس المنحرفة ويطهرها من هـذا الضـلال فيقـول :

امـام الهدى انى أرى القوم أبدعوا
لهم بدعا عنها الشريعة تعزف
رأوا فى قبور الميتين حياتهم
فقاموا الى تلك القبور وطوفوا
وباتوا عليها جاثمين كانهم
على صـنم لاجـاهلية عكف(٤١)

وربما كـان بؤس حافظ أو لشعوره بالبؤس وهـو يـرى الاموال تتدفق على صناديق النذور وأعتاب «الاقطاب» بينما الاحياء ـ ومنهم حافظ ـ يعيشون فى فقر ومسغبه حتى ليتمنى أن يكون واحدا من أصحاب هذه الاضرحه الذين تجرى عليهم النذور والارزاق .. أقول ربما كان هذا البؤس ـ حقيقة كـان أو شعورا ـ هو الدافع الى هذه الفكرة الشديدة على هذا اللون من الرذائل . ونسمعه يقول :

أحياؤنا لا يرزقون بدرهـم
وبالف ألف ترزق الامـــوات
من لى بحظ النائمين بحفـرة
قامت على أحجارها الصلـوات
يسعى الامام لهـا ويجرى حولها
بحر النذور وتقرأ الايـــات

---

(٤١) الديوان ٢٢/١ .

ويقال هذا القطب باب المصطفى
وسيلة تقضى بهـا الحاجات (٤٢)

ويحمل حافظ بشده على صنف من العلماء والفقهاء لـم يرعوا قيمة العلم وقداسة الفقه ، فسلكوا طريق النفاق والكذب والفتن والوقيعة فى سبيل تحقيق أهداف وغايات دنيا فيقول :

كم عالم مـد العلوم حبائلا
لوقيعـة وقطيعـة وفـراق
وفقيه قـوم ظـل يرصد فقهـه
لمكيـدة أو مستحل طـلاق
يمشى وقـد نصبت عليـه عمـامة
كالبرج لكن فوق تـل نفـاق
يدعونه عنـد الشقاق وما دروا
أن الذى يدعون شقـاق (٤٣)

ويعرض حـافظ لمرضى الدنيـا ومطالبها الخسيسة الذين يعتنقون فكرة الغاية تبرر الوسيلة من أطباء ومهندسين وأدباء لا يرعون شرف المهنة وصيانة الامانة التى حملوها والرسالـة التى تعهدوا بأدائها (٤٤) ٠

ومـن هـذا القبيل هؤلاء القادة الذين يتشدقون بالقيـم الدينية والانسانية والورع واعمالهم تناقض أقوالهم وكبر مقتا عند الله أن يقول الانسـان ما لا يفعل ، فيقول مخاطبا غليوم

---

(٤٢) الديوان ٣١٨/١ ٠
(٤٣) الديوان ٢٨١/١ ٠
(٤٤) أنظر السابق نفس الصفحة ٠

الثانى امبراطور المانيا وهو ينكر عليه اثارته الحرب العظمى وما ارتكبه فيهـا مـن فظائع :

أكـثرت من ذكـر الالـه تورعـا
وزعمت أنـك مرسـل وأمـين
عجبا أتذكره وتملا كونـه
ويـلا لينعـم شعبك المغبون
وكذلك القصاب يذكر ربـه
والنصل فى عنق الذبيح دفين(٤٥)

والظلم هو شر الظلمات ، وأبعدها أثـرا فى المجتمعات والظالمون لا يرعون حق المواطنة ، ولا حـق الديـن ، فعلى أيديهم يخرب الوطن ويدمر بنيانه ويسلطون - جورهم على أبنـاء وطنهم وأبنـاء دينهم وفى ذلك يقول حافظ :

لحى الله عهد القاسطين الذى بـه
تهدم من بنياننا ماتهدمـا
اذا شئت أن تلقى السعادة بينهم
فـلا تك مصريا ولا تك مسـلما
سـلام على الدنيا سـلام مـودع
رأى فى ظلام القبر أنسا ومغنما(٤٦)

ويرى حافظ فى الدين رابطـة من أقوى الروابط ان لـم تكن أقواها ، لذلك يفزع الى آل عثمان ٠٠ بل يسجل عليهم

---

(٤٥) الديوان ٨٥/٢ ٠
(٤٦) الديوان ١١٤/٢ ٠

وهــم أخوانهم فى الدين أن يتركوا مصر نهبة لمستعمر يخالف أهل مصر فى الدين والفضل والاخلاق والادب (٤٧) ٠

ولا تتعارض هذه الرؤية مع السماحة الدينية التى كــان حافظ يدعو اليهــا ويلح فى الدعوة اليها فى مواضع كثيرة من شعــره ويدعو كــل ذى ديــن الى توفيــر الدينين السماويين الاخرين فيقــول :

فتفيئوا ظــل الهلال فانــه
جــم المبرة واســع الاحســان
يرعى لموسى والمسيح وأحمد
حــق الولاء وحرمة الاديــان
فخذوا المواثيق والعهود على هدى
التوراة والانجيل والفرقــان (٤٨)

ويقــول :

ياقــوم انجيــل عيسى
وأمـــة القـــرآن
لا تقتلوا الدهر حقـــدا
فالملــك للديـــــان (٤٩)

ويتحدث عن الدستور ويطالب الملك فؤاد به ثــم يقول :

بآى محمــد وبآى عيسى
فعوذه وآيات الكليــم (٥٠)

---

(٤٧) أنظر الابيات ٢/١١٩ ٠
(٤٨) الديوان ١/٤٦ ٠
(٤٩) الديوان ٢/٧٣ ٠
(٥٠) الديوان ١/١٠٨ ٠

ويجمع فى بيت واحد بين ممثلى الاديان الثلاثة فى مقام وحدة المعاناة والآلام التى عاشها الشعب المصرى تحت وطأة حكم ظالم فيقول مخاطبا صدقى :

ودعا عليك الله فى محرابه
الشيخ والقسيس والحاخام
لا هم أحى ضميره ليذوقها
غصصا وتنسف نفسه الآلام(٥١)

وسماحة المسلم تدفعه الى أن يعترف بالفضل لاهل الفضل ويثنى على «مسرة» الشام مطران طائفة الروم الارثوذكس الذى كان يعنى بالجرحى عندما اعتدى الاسطول الايطالى على بيروت سنة ١٩١٢ :

مسرة الشام انا
اخوانكم ماحينا
ثقوا فانا وثقنا
بكم وجئنا قطينا
انا نرى فيك عيسى
يدعو الى الخير فينا
قربت بين قلوب
قد أوشكت أن تبينا
فانت فخر النصارى
وصاحب المسلمينا (٥٢)

ويتغنى حافظ ابراهيم برأى الجماعة الذى يعتمد على

---

(٥١) الديوان ٢/١٠٥ ٠
(٥٢) الديوان ٢/٧٥ ٠

قاعــدة الشــورى فهو سر سعادة الامم ، أما الانفراد بالــرأى والاستبداد بــه فيجلب لهــا الشقاء :

رأى الجماعة لاتشقى البلاد بــه
رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها(٥٣)

ويفضل حافظ ملامح الشورى ويعدد فضائلها فيقول :

الفضل للشورى وتلك هى التى
تزع الهوى وتــرد كــل جمــاع
هى لاتضــل سبيلها فكأنمــا
خلق السبيل لها بغير نواحى
هى لا براح تــرد كيــد عــدوكم
وتفل غرب الغاصب المجتاح
فتكنفوا الشورى على استقلالكم
فى الرأى لاتوحيه نزعة واحى
ويــد الالــه مع الجماعة فاضربوا
بعصا الجماعة تظفروا بنجاح(٥٤)

واذا كانت الشورى هى أســاس الحكــم السديد وبقــاء المجتمع الرشيد فان العــدل هو صنوها الذى لايمكن أن تتحقق بدونه فالرعية اذا ما اطمأنت الى عــدل الحــاكم الى طاعتها وساد السلام المجتمع ووقف صفــا واحــدا متعاونا فى مواجهة أعدائه . وقد جمع حافظ بين قيم ثلاثة مترابطة وهى التعاون والعدل والشورى وهو يهنىء الملك الانجليزى أدوارد السابع بتتويجه فيقــول :

---

(٥٣) الديوان ٦١/١ .
(٥٤) الديوان ١٠٢/٢ .

لا تعجبن لملك عن جانبه
لولا التعاون لم تنظر له أثرا
ماثل ربك عرشا بات يحرسه
عدل ولا مد فى سلطان من قدرا
خبرتهم فرأيت القوم قد سهروا
على مرافقهم والملك قد سهرا
وتشاوروا فى أمور الملك من ملك
الى وزير الى من يغرس الشجرا(٥٥)

لقد أفرد الاسلام الله بالعبادة ونهى عن تقديس الاولياء وقبورهم وقد لعن النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ اليهود « لانهم اتخذوا قبور أوليائهم مساجدا » كما نظر الاسلام الى العلماء على أنهم ورثة الانبياء وجعلهم فى مرتبة عليا من الفضل فقال القرآن الكريم « قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون » ، ولانهم أعلم الناس وأوسعهم أفقا كانوا هم أكثرهم استجابه لله واتقاهم له « انما يخشى الله من عباده العلماء » وذم القرآن النفاق والتظاهر وحرم أن يقول المسلم ما لايفعل « كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لاتفعلون» .

ونهى الاسلام عن الغش فقال نبيه ـ عليه السلام :

« من غش امتى فليس منى » وأمر أن يخلص الانسان فى عمله ويعطيه حقه من الاتقان والوفاء « ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه » .

وعن التسامح الدينى يقول الله سبحانه تعالى « ولا يجرمنكم شنآن قوم على الا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى(٥٦)

---

(٥٥) الديوان ١٩/١ .   (٥٦) المائدة ٨ .

ويقول « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم (٥٧) ٠

ويأمر بالتعاون فى الخير فيقول « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان » والحكم فى نظر الاسلام مبنى على أساسين ركينين : العدل والشورى ٠

ـ ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل ٠

ـ وشاورهم فى الامر « وأمرهم شورى بنيهم » ٠

● ● ●

كل أولئك قيم تمثل مبادىء وقواعد جوهريه فى الاسلام رددها حافظ وألح على بعضها الحاحا شديدا ٠٠ ونلاحظ على منهجه فى معالجة هذه القيم ما يأتى :

١ ـ أنه قصير النفس فى عرضها فهو لم يفرد واحدة منها بقصيدة كاملة انما يتناول « القيمة فى بضعة أبيات » وفى تضاعيف قصائد أخرى اذا استثنينا مقطوعته « أضرحه الاولياء (٥٨) وهى من أربعة أبيات ٠

٢ ـ أنه يعرض هذه القيم عرضا مباشرا فى الغالب وبطريقة لامسة دون تعميق يستهدف بيان أثرا القيمة فى النفوس الا على سبيل الاشارة والالماع ٠

---

(٥٧) الممتحنة ٨ ٠
(٥٨) الديوان ٣١٨/١ ٠

الفصـــل الخامس

الصّوَروالأسَاليبُ

الصـور والاساليب القرآنيـة

كانت ثقافة حافظ الرسمية محدودة فهى لا تعدو دراسـة فى مكتب أو مدرسة ابتدائية ثـم دراسة فنيـة وما تستلزمهـا فى المدرسة الحربيـة (١) ٠

ولكنه عكف منـذ شب عـلى دواوين الشعـر ، وأجزاء (الاغانى) بتخيلها ويتمثلها ، ويعاود النظر فيها حتى بلـغ مـن مختار الرواية ومصطفى الكلام ما لا غايـة بعـده ، ثـم قنـع من فروع الثقافة الاخرى بنتف من المسائل الاولية ينقلها عـن السماع ويأخذها من الصحف اذا ظن أنهـا تدخل بوجـه من الوجوه فيما يعنيه من ابتكار الاسعار وصوغ القريض(٢)٠

واشتهر حافظ بقوة حافظته من صغره حتى روى عنـه بعض أصدقائه أنـه كـان يسمع قارىء القرآن فى بيت خالـه يقـرأ سـورة الكهف أو سـورة مريـم أو سـورة طـه فيحفظ ما يقولـه ويؤديـه كمـا سمعـه بالرواية التى سمـع القارىء يقـرأ بهـا (٣) ٠

ويقـول عنـه عبـد العزيز البشرى :

« ولـم أر قط رجلا أسرع منـه حفظا ولا أثبت حافظة، ولقـد تقـع لـه المقالة الطويلة أو القصيدة الضافية فترى نظره

---

(١) أحمد أمين : مقدمة الديوان ص ٢٠ ٠

(٢) الزيات : تاريخ الادب العربى ٥٠٥ ٠

(٣) عبد الوهاب النجـار : صفحة مجهـولة من حيـاة حافظ : مجلة أبولو ٠ يوليو ١٩٣٣ ص ١٣٢٤ ٠

يثب فيها وثبا حتى ياتى على فايتها ، واذا هو قد استظهر أكثر جملها أو أبياتها ان كانت قصيدا ، واذا هى ثابتة على قلبه على تطاول السنين (٤) .

ويقول عنه خليل مطران : حاضر المحفوظ من أفصح أساليب العرب ينسج على منوالها ويتميز نفائس مفرداتها وأعلاق حلاها (٥) .

يقع اليه ديوان فيتصفحه كله وحينما ظفر بجيده استظهره (٦) وكانت محفوظاته تعد بالالوف ، وكانت لا تزال ماثله فى ذهنه على كبر السن وطول العهد ، بحيث لا يمترى انسان فى أن هذا الرجل كان من اعاجيب الزمان (٧) .

فاذا جلست اليه أخذ يسمعك من محفوظه ما يبهرك . وما يختار جيدا من القول حتى يرسم فى حافظته ويبقى فى ذاكرته ثم يتجلى ذلك فى شعره (٨) .

يدل على ذلك ما يضمنه شعره من أمثلة عربية وشعر قديم مثل قوله :

---

(٤) ذكرى الشاعرين ١١ .
(٥) السندوبى : الشعراء الثلاثة ٣٥١ .
(٦) السابق ٣٥٢ .
(٧) زكى مبارك : حافظ ابراهيم ١٠٧ .
(٨) المقدمة : نفس الصفحة .

وأربو على ذلك الفخور بقولـه
(اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا) (٩)

وقـد يكون ذلك فى بيت كامل كمـا نـرى فى قصيدته فى عيـد الدستور العثمانى (١٠) فى مجال الحديث عن جماعـة الاتحاديين :

روت قول بشار فثارت وأقسمت
وقامت الى عبد الحميد تحاسبه
(اذا الملك الجبار صعر خـده
مشينا اليه بالسيوف نعاتبه) (١١)

ويعجب بقول المعرى :

والارض للطـوفان مشـتاقة
لعلهـا من درن تغسـل(١٢)

فيقول حـافظ :

رأيت رأى المعرى حين أرهقـه
ماحل بالناس من بغى وعـدوان
لاتطهر الارض من رجس ومن درن
حتى يعاودها نوح بطوفـان (١٣)

---

(٩) الديوان ١/١٠ والشطر الثانى للمتنبى وصدر البيت وما الدهر الا من رواة قصائدى ٠ (ديوان المتنبى ٢٩٧) ٠
(١٠) الديوان ٤٨/٢ ٠
(١١) أنظر ديوان بشار ٠
(١٢) المعرى : لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) المجـلد الثانى ٢٨١ ٠
(١٣) ديوان حافظ ١٤٠/١ ٠

ويلح حافظ على المعنى نفسه ويزداد اقترابا من بيت المعرى اذ يقول :

وأصبحت تشتاق طوفانها
لعلها من رجسها تطهر (١٤)

ومحفوظ حافظ لايقف عند القديم بل تتسع حافظته للجديد من الشعر ، وبتأثره فيعارض قصيدة اسماعيل صبرى التى يهنىء بها الخديوى عباس حلمى الثانى بعيد الاضحى فى يناير سنة ١٩٠٨ (١٥) ويضمن قصيدته بيتا لاسماعيل صبرى . يقول حافظ :

صدق الذى قال فيه وحسبه
أن الزمان لما يقول مصدق
(لك مصر ماضيها وحاضرها معا
ولك الغد المتحتم المتحقق) (١٦)

---

(١٤) ديوان حافظ ١١/٢ .

(١٥) أنظر القصيدة فى ديوان اسماعيل صبرى من ص ٥٤ الى ص ٥٨ .

(١٦) ديوان حافظ ٤٣/١ . والبيت الثانى لاسماعيل صبرى ومن هذا القبيل أيضا اشارات حافظ الى مطالع قصائد لشوقى أو عناوين لها أو عبارات مثل قوله عينيته التى انشدها يهنىء فيها شوقى بامارة الشعر :

(من أى عهد فى القرى) قد تفجرت
ينابيع هذا الفكر أم (أخت يوشع)
وفى (توت) ما أعيا ابتكار موفق
وفى (ناشىء فى الورد) الهام مبدع

(ديوان حافظ ١٢٢ وأنظر من ص ١٢٣ الى ص ١٢٦) .

ولكن ذلك وأمثاله يعد قليلا جدا اذا قيس بتأثر حافظ ابراهيم بالقرآن الكريم فى معانيه وصوره والفاظه وأساليبه .. وسنحاول أن نتتبع بعض بصمات القرآن الكريم فى جانبين :

الاول : الصور والمعانى .

الثانى : الالفاظ والتراكيب .

● ● ●

من بواكير حافظ فى الوصف قصيدته الشمس وهو متأثر فيها الى أبعد حد بآيات من سورة الانعام وهى تمثل مشهدا حواريا بين ابراهيم وقومه وكانت أهم وسيلة له فى افحامهم هى القمر والشمس فى ظهورهما وافولهما . تقول الآيات « وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين . فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الافلين . فلما رأى القمر بازغا قال : هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين . فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم أنى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين »(١٧) .

نظم حافظ ابراهيم هذا المشهد القرآنى فى قصيدته الشمس (١٨) فيقول :

لاح منها حاجب للناظرين
فنسوا بالليل وضاح الجبين

---

(١٧) الانعام من ٧٥ الى ٧٩ .
(١٨) الديوان ٢٠٧/١ .

ومحت آيتهـا آيتـــــه
وتبـــدت فتنـــه للعاليـــــن
نظـر ابراهام فيهـا نظـــرة
(قـال اني لا أحب الآفلـين)
قـال ذا ربـى فلمـا أفلـــت
(قال انى لا أحب الا فليـن)
ودعـا القـوم الى خالقهـــا
وأتى القـوم بسلطـان مبيـــن
رب ان النـاس ضـلوا وغـووا
ورأوا فى الشمس رأى الخاسريـن
خشعت ابصارهـم لمـا بـدت
والى الاذقان خـروا ساجديـن

والحقيقة أن القصيدة لاتحمل من الدلالة أكثر من تأثـر حافظ بالتصوير والاسلوب القرآنيين .. وهو فى هذه الابيات والابيات التى تلتهـا لـم يحـاول أن يتعمق المسيرة العقديـة الانسانية ويربط بينها وبين الوجود الانسانى فى وقتنا الحاضر فأصبح مانظم أشبه مايكون بالشعر التعليمى القريب فى مأخذه السطحى فى مأتـاه .

وبتأثر حافظ ابراهيم أكثر من مـرة بقوله تعالى عـلى لسان الجن « وأنـا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرسا شديدا وشهبا ، وانـا كنـا نقعـد منهـا مقاعد للسمع فمـن يستمع الآن يجـد لـه شهابا رصـدا (١٩) .

---

(١٩) سورة الجن ٨ ، ٩ .

فيؤسس على هذا المضمون صورة ممتدة وهو يتحدث عن المدفع وأهواله فيقول (٢٠) ٠

ماكوكب الرجم هوى من عالى
فمر كالفكر سرى بالليال
على عنيد مارد محتال
مسترق للسمع فى ضلال
من عالم التسبيح والاهوال
أمضى وأنكى منه فى القتال

ويعرض حافظ الصورة مرة أخرى باسلوب فيه جزاله وقوة جرس صخاب مما يتفق مع طبيعة المشهد الموصوف ، وهو هذه المرة يتحدث عن سفن الاسطول العثمانى فيقول (٢١)٠

وهى فى الحرب قضاء سابح
يدع الحصن تلالا ورجاما
مانجوم الرجم من أبراجها
اثر عفريت من الجن ترامى
من مراميها بانكى موقعا
لا ولا أقوى مراسا وعراما

ويتحدث عن طائرة الطيار العثمانى فتحى بك فيصفها بانها ٠

مثل الشهاب انقض فى
آثار عفريت ونار (٢٢)

---

(٢٠) الديوان ٢٠٩/١ ٠
(٢١) الديوان ٦٣/٢ ٠
(٢٢) السابق ٧٧/٢ ٠

ويستعين حافظ بما جاء في القرآن متعلقا ببعض الانبياء وهو يرسم صوره الشعرية ، والقليل النادر منها ما يمثل صورة شعرية كلية أما أغلبها فصور جزئية تعتمد على الخيال التفسيري وخاصة ماجاء عن نبى الله سليمان وما ورد في سورة يوسف :

فهو يتحدث - على لسان بعض المتصوفة الى معشوقة شكيب قائلا له انه اذا تعرض لمكروه دعا اليه بساط سليمان يحمله عليه ، وتدفعه الريح المسخرة حتى يراه منه قريبا :

واذا خفت مايخاف من اليم فرشنا لاخمصيك القلوبا
ودعونا بساط صاحب بلقيس
فلبى دعاءنا مستجيبا
وأمرنا الرياح تجرى بأمر
منك حتى نراك منا قريبا (٢٣)

ويهنىء سليمان اباظة (١٨٣٤ - ١٨٩٧) بالابراء من مرضه (٢٤) ويوظف عناصر أخرى من قصة سليمان نبى الله مع أنه ليس ثمة رابطة معنوية أو فنية تربط بين

---

(٢٣) الديوان ١٦١/١ . ويقول تعالى : « ولسليمان الريح عاصفة تجرى بأمره الى الارض التى باركنا فيها وكنا بكل شىء عالمين » (الانبياء ٨١) .

ويقول تعالى : « ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر ... » سبأ ١٢ .

(٢٤) الديوان ٣٧/١ .

المهنأ والنبى أكثر من أنـه سميـه ، وفى ذلك مافيـه مـن الغـلو والشطط وخصوصا فى تحذير بعضه بعضـا اذا ما أحس « سليمان أباظـه » يقـول حافظ :

سليمان ذكرت الزمان وأهله
بعـز سليمـان واقبـال دنيـاه
اذا سرت يوما حذر النمـل بعضـه
مخافة جيش من مواليك يغشاه (٢٥)
وان كنت فى روض تغنت طيوره
وصاحت على الافنان يحرسك الله
وكان (ابن داود) لـه الريح خادم
وتخدمك الايام والسـعد والجـاه

ولسورة يوسف بصمات متعددة واضحة فى صور الشاعر ، يأتى ذلك أحيانا فى شكل اشارات عاجلة يحكمها الافتعال فهو يهنىء رفعت بـك بوكالته لمصلحة السجون ويقـول لـه أنـه لـو تولى هذا المنصب فى عهـد يوسف عليه السلام لتمنى أن يبقى فى السجن ولما طلب من صاحبه المفرج عنه أن يذكره عنـد الملك حتى يأمر باخراجه من السجن :

أهنيك أم أشكو فراقك قائـلا
أيا ليتنى كنت السجين المصـفدا

---

(٢٥) يقول تعالى : « حتى اذا أتوا على وادى النمـل قالت نملة يأيها النمل ادخـلوا مسـاكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون » النمل ١٧ .

فلو كنت فى عهد ابن يعقوب لــم يقل
لصاحبه اذكرنى ولا تنسنى عــدا(٢٦)

ويمجد الخمر فى أبيات بعث بها لمحمد المويلحى مضمنــا خمريته قصة السجين الذى رأى فى منامه أنه يعصر خمرا وفسره له يوسف بأنه سيخرج من السجن ويكون من ندامى الملك ٠

يقــول حافظ (٢٧) :

خمرة قيــل انهــم عصروها
مــن خــدود المــلاح فى يوم عرس
قــد رآها فتى العزيز منامـــا
وهــو فى السجن بيــن هـــم ويــأس
أعقبته الخلاص من بعــد ضيق
وحبته السعود من بعد نحس(٢٨)

وواضح أن حافظ ابراهيم يستعمل ما يسمى فى البلاغة بحسن التعليل لان الواقع يقول ان الخمر لم تكن هى السبب فى خروجه من السجن ٠

---

(٢٦) الديوان ٣٣/١ يقول تعالى : « وقال للذى ظن أنه ناج منهما اذكرنى عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين » يوسف ٤٢ ٠

(٢٧) الديوان ٢٤١/١ ٠

(٢٨) جاء فى سورة يوسف « ودخل معه السجن فتيــان قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا ٠٠٠ » ٣٦ ٠ وجاء على لسان يوسف مفسرا الحلم « يا صاحبى السجن أما احدكما فيسقى ربه خمــرا ٠٠٠ » الاية ٤١ ٠

وحسن التعليل يعنى ذكر سبب خيالى فيه جمال وطرافة لامر من الامور أو ظاهرة من الظواهر .

وهو يشبه نفسه بيوسف عليه السلام حين صان نفسه من الوقوع فى الفاحشة اذ أغرته امرأة العزيز ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان من ربه(٢٩) .

يقول حافظ فى مدحته للبارودى :

فمالت لتغرينى وملأها الهوى
فحدثت نفسى والضمير ترددا
أهم كما همت فأذكر أننى
فتاك فيدعونى هواك الى الهدى(٣٠)

ويستقى حافظ بعض ملامح الجنة كما وردت فى القرآن الكريم ليشبه بها مظاهر الجمال الدنيوى التى تأسره وتشد نظره كقوله وقد رأى الزينة الكبرى التى أقيمت بحديقة الازبكية فى مساء ٨ من يناير سنة ١٩٠١ بمناسبة الاحتفال بليلة عيد جلوس الخديو :

أنى أرى عجبا يدعو الى عجب
الدهر أضمره والعيد أنشأه
هل ذاك ما وعد الرحمن صفوته
روض وحور وولدان وأمواه(٣١)

---

(٢٩) سورة يوسف ٢٤ .
(٣٠) الديوان ١/٩ .
(٣١) الديوان ١/٢١٢ .

ويقول فى وصف ايطاليا اثناء زيارته لها :

أرضــهم جنـــة وحـــور وولــدان
كما تشتهى وملـــك كبـــير(٣٢)

أما قوله تعالى : « ... حتى اذا اخذت الارض زخرفها وازينت وظن أهلها انهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلا أو نهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس »(٣٣) .

فقد تاثر حافظ ابراهيم به فى تصوير الزلزال الذى نزل ببلدة مسينا فى جنوب ايطاليا وكان نتيجة ذلك أنها :

خسـفت ، ثم اغـرقت ثم بادت
قضى الامـــر كــله فى ثـوانى
وأتى امـرها فاصبحت كـأن لـم
تك بالامس زينـة البـلدان(٣٤)

وفى صـورة يكثر ذكـر البيت الحـرام والكعبـة والحطيم والطواف والتسبيح .. الخ على نحو ما نرى فى الابيات التالية :

- وأسمع فى الدنيـا دعـاء بنصره
يردده البيت العتيـق ويثرب(٣٥)
- طف بالاريكة ذات العز والشان
واقضى المناسك عن قاص وعن دان(٣٦)

---

(٣٢) الديوان ٢٢٩/١ .
(٣٣) يونس ٢٤ .
(٣٥) الديوان ١٨/١ .
(٣٦) الديوان ٢٨/١ .

- اقول وقد شاهدت ربك مشرقا
وقد يمم البيت العتيق المحـــرما
مشت كعبة الدنيا الى كعبة الهدى
يفيض جلال الملك والدين منهما(٣٧)

- أرايت رب التاج فى　　عيد الجلوس وقد تبدى
وشهدت جبريلا يمد　　عليه ظل الله مـــدا
ونظرت تطواف القلوب　　بساحة العرش المفدى
وسمعت تسبيح الوفود　　بحمده وفدا فوفدا(٣٨)

- أحيت ميت رجائنا بصحيفة
سجدت برحب فتائها الأقلام(٣٩)

وعن قبر مصطفى كامل يقول :

- طوفوا بأركان هذا القبر واستلموا
واقضوا هنالك ما تقضى به الذمم(٤٠)

ويضمن حافظ شعره بعض الايات القرآنية او أجزاء منها والحقيقة أنه كان بارعا جدا فى هذا التضمين فهو يضع الاية فى مكانها من سباق شعره دون افتعال وتكلف مثل قوله :

(قتل الانسان ما أكفره)(٤١)
طاول الخالق فى الكون وسامى(٤٢)

---

(٣٧) الديوان ٥/١ .
(٣٨) الديوان ١٤٤/١ .
(٣٩) الديوان ١٥٠/١ .
(٤٠) الديوان ١٦٠/٢ .
(٤١) سرة عبس ١٧ .
(٤٢) الديوان ٦٥/٢ .

وقـوله :

أصبتم تراثا « وألهاكم التكاثر»(٤٣)
عنـــا فســــر العــــدا (٤٤)

وكثير من شعر حافظ مرصع بقوالب والفاظ قرآنية ، وهى فى شعره أكثر من أن تحصى اذ لا تكاد قصيدة من قصائده حتى خمرياته تخلو من كلمة قرآنية أو عبارة دينية أو اشارة تاريخية لعظيم من عظماء الاسلام . . . ونجتزىء فى السطور الاتيـة ببعض الشواهد من شعره :

– فجرى فيه ما جـرى من حديث
كان بردا على الحشا وسلاما(٤٥)
– وان شئت عنـا يا سماء فاقلعى
ويا ماءها فاكفف ويا أرض فابلغى(٤٦)
– تلــــك التى يحــــرمها الله
به ازاء الأزلام والانصـاب(٤٧)

---

(٤٣) سورة التكاثر ١ .
(٤٤) الديوان ١٩٧/١ .
(٤٥) الديوان ٦٠/١ . يقول تعالى : « قلنا يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » الانبياء ٦٩ .
(٤٦) الديوان ١٢٧/١ . يقول تعالى « . . . وقيـل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء اقلعى ... » هود ٤٤ .
(٤٧) الديوان ٢٦/١ . يقول تعـالى : « يأيهـا الذين أمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمـل الشيطان فاجتنبوه ... » المـائدة ٩٠ .

ـ فجعلت أمر الناس شورى بينهم
وأقمت شرع الواحـد الديان(٤٨)

ـ وضع الكتاب وسيق جمعهم الى
يوم الحساب وموقف الاذعان(٤٩)

ـ ان تاتيـا طـوعا والا فاتيـا
كرها بلا حـول ولا سلطان(٥٠)

ـ شاهـدت مصرع اتـرابى فبشر
بضجعة عندها روحى وريحانى(٥١)

ـ أنت « والشمس » (والضحى) والليالى
العشر (والفجر) غير راعى الذمام(٥٢)

ـ اقسـم بالله وآلائـه بعرشـه باللوح بالكرسى

---

(٤٨) الديوان ٤٤/١ . يقول تعالى : « ... وأمـرهم شورى بينهم ... » الشورى ٣٨ .

(٤٩) الديوان ٤٦/١ . يقول تعالى « ووضع الكتـاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه .. » الكهف ٤٩ . ويقول تعالى « وسيق الذين كفروا الى جهنم زمرا ... » الزمر ٧١ .

(٥٠) الديوان ٤٩/١ . . يقول تعالى « ثم استوى الى السماء وهى دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا اتينا طائعين » (فصلت ١١) .

(٥١) الديوان ١٤٠/١ . يقول تعالى « .. فروح وريحان وجنة نعيم .. » الواقعة ٨٩ .

(٥٢) الديوان ٢٠٢/١ . وهو هنا يقسم بما أقسم به الله تعالى فى سور لشمس الضحى والفجر .

بالخنس الكنس فى سبحها
بالبدر فى مرآة بالشمس(٥٣)

– ذاك الذى حكمت فينا براعته
وأكرم الله والعباس مثواه(٥٤)

– به الريح لفاحة للوجوه
به الشمس نزاعة للشوى(٥٥)

– قربوا الصلاة وهم سكارى بعد ما
نزل الكتاب بحكمة وجلاء (٥٦)

– فقضيناه ولم نحفل بما
سطرت أيدى الكرام الكاتبين(٥٧)

– سور عندى له مكتوبة
ودلو يسرى بها الروح الامين(٥٨)

---

(٥٣) الديوان ٢٩٧/١ . يقول تعالى « فلاأقسم بالخنس، الجوار الكنس » التكوير ١٥ . ويقول تعالى « والشمس وضحاها ، والقمر اذا تلاها .. » الشمس ١ ، ٢ .

(٥٤) الديوان ٢١٣/١ . « وقال الذى اشتراه من مصر لامرأته أكرمى مثواه » يوسف ٢١ .

(٥٥) الديوان ٢٢٣/١ . يقول تعالى « كلا إنها لظى نزاعة للشوى » المعارج ١٦ .

(٥٦) الديوان ٢٣٩ . يقول تعالى « يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى » النساء ٤٣ .

(٥٧) الديوان ٢٤٤/١ . يقول تعالى « وان عليكم لحافظين كراما كاتبين » الانفطار ١١ .

(٥٨) الديوان ٢٤٩ . يقول تعالى « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين » لشعراء ١٩٣ .

ـ ان تقرضوا الله فى أوطانكم فلكم
أجر المجاهد طوبى للذى اكتتبا(٥٩)
ـ أقرضوا الله يضـاعف أجـــركم
ان خـير الاجر أجر مدخـر(٦٠)
ـ والمحســنون لهم على احســانهم
يوم الاثابة عشـرة الامثـال(٦١)
ـ فيهـــا الحـــــديد وفيــه بأس
يـــوم يمتهـــن الذمـــــار (٦٢)
ـ وتواصوا بالصبر فالصبر ان فارق
قـوما فمـا لـه من مســـد(٦٣)
زرعت لنـا زرعـا فاخـرج شطاه
وبنت لمـا نجـتن الثمـرات(٦٤)

---

(٥٩) الديوان ٢٧٥/١ . يقول تعالى « ان تقـرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم » التغابن ١٧ .

(٦٠) الديــوان ٣٠١/١ . يقـول تعـالى « من ذا الذى يقـرض الله قرضـا حسـنا فيضـاعفه لـه .. » البقـرة ٢٤٥ ـ الحـديد ١١ .

(٦١) الديوان ٢٧٩/١ . يقول تعالى « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » الانعام ١٦٠ .

(٦٢) الديوان ٨٠/٢ . يقول تعالى « وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس » الحديد ٢٥ .

(٦٣) الديوان ٩٣/٢ . يقول تعالى « وتواصوا بالحـق وتواصـوا بالصبر » العصر ٣ .

(٦٤) الديـوان ١٤٥/٢ . يقـول تعـالى « ومثـلهم فى الانجيل كزرع أخرج شطاه .. » الفتح ٢٩ .

- ضمت الى التاريخ بضع صحائف
بيضاء مثل صحائف الابرار(٦٥)
- واذكرى الوحشة فى القبر فلا
مؤنس فيه سوى تقوى القلوب(٦٦)

● ● ●

ونلمح كذلك فى شعر حافظ تأثرا واضحا بالحديث الشريف وان كان ذلك فى بضع مواضع مثل قوله مخاطبا الامام محمد عبده رسموا بذلك للنواظر جنة .. محفوفة بمكارة الاشعار(٦٧) فهو متأثر بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : حفت الجنة بالمكارة .

ومثل قوله عن شوقى :
لقد شاب من هول القوافى ووقعها
واتيانه بالمعجز المتمنع
كما شيبت هود ذؤابة أحمد
وشيبت الهيجاء رأس المدرع(٦٨)

فهو متأثر بحديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (شيبتى هود وأخواتها) .

● ● ●

---

(٦٥) الديوان ١٥٥/٢ . يقول تعالى « كلا ان كتاب الابرار لفى عليين » المطففين ١٨ .
(٦٦) الديوان ٢٠٣/٢ . ويقول تعالى « ذلك ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب » الحج ٣٢ .
(٦٧) الديوان ٢٧/١ .
(٦٨) الديوان ١٢١/١ .

وبعد هذا العرض لعلنا لا نكون مسرفين فى الحكم اذا قلنا ان حافظ ابراهيم كان من أكثر شعراء العصر الحديث ان لم يكن أكثرهم فى تأثر الاسلوب القرآنى فكرا وتصويرا وتعبيرا .. وهو يفوق فى هذا المجال بشكل واضح مع أن شوقى هو شاعر الاسلام الاول فى العصر الحديث كما ذكرنا من قبل ، أما حافظ فمصر هى شاغله الاول بآلامها وآمالها وقضاياها وأحداثها .. وهو حينما يعبر عن حدث اسلامى أو شخصية اسلامية فمصر لها المكان الاول فيما ينظم فهو « يمثل أمته فى مديحه كما يمثلها فى قصائده الاجتماعية »(٦٩) .

وتأسيسا على هذا الحكم فى ظاهره على الاقل كان من المفروض أن يكون شوقى أقرب الى الاسلوب القرآنى وأشد تأثرا به من حافظ ولكن شعر كل منهما يقول عكس ما كان مفروضا ويرجع ذلك الى عدة أسباب أهمها :

١ ـ أن حافظ أكثر « تراثية » من شوقى وحظه من الثقافة الاجنبية أو اللغة الفرنسية ضئيل جد ضئيل ، ولقد ذكرنا من قبل أن ترجمته لبؤساء هوجو كانت أقرب الى التأليف « منها الى الترجمة » وأن الموجز فى الاقتصاد « تولى ترجمته كله خليل مطران وان وضع اسم حافظ مع اسمه على الكتاب » أما شوقى « فقد حذق العربية والفرنسية وتلقن التركية فى بيته »(٧٠) .

(٦٩) شعراء مصر وبيئاتهم فى الجيل الماضى ١٩ .

(٧٠) د. شوقى ضيف : الادب العربى المعاصر فى مصر ١١٤ .

ثم كان المثل الاعلى لحافظ هو محمود سامى البارودى رأس المدرسة الكلاسيكية الجديدة وباعث النهضة الشعرية وكان حافظ يدعوه «باميـر القوافى» (٧١) ويـرى نفسـه تلميـذه فى الطريقة وجمعت بينهما بعـد ذلك بجامعة الالفـة والمودة « وفتاه » (٧٢) فتطاول طموحه منذ أخذ فى نظام الشعـر الى مقـام البارودى (٧٣) وهناك بواعث كثيرة قربت بينهما فحافظ قـد اختار حياة الجندية كمـا اختارها البارودى مـن قبلـه ، وحافظ كـان مفطورا كصاحبه عـلى ايثـار الجزالـة والاعجاب بالصياغة والفحولة فى العبارة .. وكان الشيخ حسين المرصفى استاذ الشاعرين وقدوتهما فى الرأى والنقـد وتـذوق الكـلام (٧٤) .

من هنا كان حافظ أقرب الى «التراثية » من شوقى .. وكان شوقى أقرب الى «التجديدية» والتأثر بالثقافات الاجنبية مـن حافظ فوجـد حافظ ولا شـك فى العبارة القرآنية المثـل الأعلى فى التراثيات فطعم بهـا شعره وهو الذى كان ـ كمـا قـال العقاد ـ « مفطورا بطبعه على ايثار الجزالة والاعجاب بالصياغة والفحولة فى العبارة » .

٢ ـ وكان حافظ من أشـد الشعراء حرصا على اختيار اللفظ وتذوق الجرس الـذى يقـع فى أذنـه وفى نفسـه حيـن

---

(٧١) ديوان حافظ ١/١٠ .
(٧٢) أنظر السابق ١/٩ .
(٧٣) ضيف السابق ١٠٤ .
(٧٤) العقاد / السابق ص ١٢ .

يختاره ، وكان حريصا على أن يكون الفاظه فخمة ضخمة تحرك المشاعر وتثير العواطف ، وكان أشد مايكون حرصا على ذلك فى مطالع قصائده يسعى وراء اللفظ فان لم يجد فيه القوة التى تثير احتال على ذلك بالتكرار . يكرر اللفظ الواحد أو الجملة الواحدة مرة وأكثر من مرة ليثير السامع ويسترعى انتباهه ويجرفه معه تياره ويملك عليه عواطفه يصرفها كما يشاء (٧٥) .

كان هذا هو أهم الطوابع الفنية لحافظ وقد وجد فى الكلمة القرآنية والاسلوب القرآنى مثله الاعلى وطابته التى تغذى هذا الطابع فاللفظة القرآنية اسرة بفخامتها وضخامتها مثيرة بجرسها ورنينها ، والتكرار فى القرآن سمة فنية للتاكيد واثارة المشاعر ومن ثم جاءت مطالع قصائده بالذات مصطبغة بالصبغة الدينية ، يستعمل الفاظ الدين والقرآن ليجتذب بها القلوب ويتصيد بها المشاعر وهو يعلم أن الصيغ الدينية لها فى القلوب وفى الاسماع نغم محبوب جذاب (٧٦) .

٣ ـ وثمة عامل آخر وجهه هذه الوجهة وهو قوة حافظته ، وقد مر بنا ما رواه بعض أصدقائه أنه كان فى صغره يسمع قارىء القرآن فى بيت خاله يقرأ سورة الكهف أو سورة مريم أو سورة طه فيحفظ ما يقوله ويؤديه كما سمعه بالرواية التى سمع القارىء يقرأ بها ومر بنا ما قاله كل من البشرى ومطران فى قوة حافظته .

ومثل هذا لا يستعصى عليه حفظ القرآن والقدرة على

---

(٧٥) أحمد الطاهر : محاضرات عن حافظ ابراهيم ٦٢
(٧٦) أنظر الطاهر السابق ٦٢ .

اجترار ما يشاء من آياتـه والفاظه وأعلامه وقصصه مستعينـا بهـا فى شعره .. وهـو يعلـم أن القرآن هـو قمـة البيان والبلاغة وهو الذى أعجز العرب عن الاتيان بسورة من مثله .

أمـا شوقى فيظهر انـه لـم يحفظ القرآن صغيرا ، ولم يتسع صدره ـ وهـو الذى ولـد بباب اسماعيل ـ لمثـل ذلك فيقول عبارة غريبة عابرة فى ترجمته الذاتية « دخلت مكتب الشيخ صـالح وأنـا فى الرابعـة من عمرى ، وهى مـن أهلى جناية على وجدانى أغفرها لهـم » (٧٧) .

٤ ـ ومن أهـم العوامل فى هـذا المجال اعتزازه بالامام محمد عبده وحبـه لـه وحرصـه على حضور دروسه ومجالسه وقـد كان الامام حجـة فى الدين والتفسير والعلوم الشرعية . فلا شـك أن يكون حافظ قـد التقط منـه فى مجالسه الكثير والكثير وفى ذلك يقول حافظ « فقد كنت ألصق الناس بالامام أفشى داره وأرد أنهاره والتقط ثمـاره .. وكان يملاء علينـا المجلس سحرا من آياته ويتنقل بنـا بين مناطق الافهام ومنازل الاحلام ويسمو بأنفسنا الى مراتب العارفين بأسرار الخلائق وحكمة الخالق .. ولـم يـزل ذلك همـه رحمـه الله يلقى فى الازهر دروس التفسير وفى داره دروس الحكمة حتى مضى لسبيله (٧٨) أقـول كل هذه العوامل تضافرت وكان لها ولاشك بالوعى أو باللاوعى ـ تأثيرا كبيرا فى ترصيع شعره بالصـور والكلمات القرآنيـة .

---

(٧٧) أحمد شوقى فى تقديمه للشوقيات فى طبعتها الاولى سنـة ١٨٩٨ والثانية سنـة ١٩١١ عن كتاب طـه واد ى: شعر شوقى الغنائى والمسرحى ص ١٧٦ .

(٧٨) ليالى سطيح ١٢١ .

المراجـــع

١ ـ أبليس : عباس محمود العقـاد
دار الهلال . القاهرة ـ ١٩٥٨ .

٢ ـ الاتجاهات الوطنيـة فى الشعـر العربى المعـاصر :
د. محمد محمد حسين
ط ٢ ـ المطبعة النموذجية ـ القاهرة .

٣ ـ أحمد شوقى شاعر الوطنية : أحمد زكى عبد الحليم
دار الهلال ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ .

٤ ـ الاحوال الشخصية : الامام محمد أبـو زهـرة
ط ٣ ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة ـ ١٩٥٧ .

٥ ـ الادب العربى المعاصر فى مصر : د. شوقى ضيف
ط ٤ ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧١ .

٦ ـ الادب وفنونـه : عـز الدين اسماعيل
ط ٣ ـ دار الفكر العربى ـ القاهرة .

٧ ـ الادب وقيـم الحيـاة المعاصرة : د. محمـد زكى عشماوى
الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة (د.ت).

٨ ـ أسرار البلاغة . عبد القاهر الجرجانى
دار المنـار . القاهرة ١٣٧٢ هـ .

٩ ـ أضواء على الادب العربى المعاصر : أنور الجندى
دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ـ ١٩٦٩ .

١٠ ـ الاعلام : خيـر الدين الزركلى
دار العلم للملايين ط ٤ بيروت ١٩٧٩ .

١١ ـ تاريخ الادب العربى : أحمد حسن الزيات
ط ٢٦ ـ دار الثقافة بيروت ـ لبنان (د.ث) .

١٢ ـ تحرير المرأة : قاسم أميـن
ط ٢ ـ مطبعة المكتبة الشرقية ـ القاهرة ١٩١٦ ٠
١٣ ـ تطور الادب الحديث فى مصر : د٠ أحمد هيكل
ط ٣ ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ ٠
١٤ ـ تفسير القرآن الكريـم (تفسير المنـار) : الشيـخ محمـد عبـده
الجزء الثانى ـ ط٢ ـ مطبعة المنار بمصر ١٣٥٠هـ
١٥ ـ جمهرة خطب العرب فى عصور العربية الزاهرة : أحمـد زكى صفوت
ج٢ ـ مصطفى البابى الحلبى ـ القاهرة (د٠ث)
١٦ ـ حافظ ابراهيم : زكى مبارك
الهيئة المصرية العامـة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٧٨ (المكتبة الثقافية رقـم ٣٥٠) ٠
١٧ ـ حافظ وشوقى : حسن كامل الصيرفى
مطبعة المقتطف والمقطم ١٩٤٩ ٠
١٨ ـ حافظ وشوقى : طـه حسيـن
الهيئة العامة للمطابع الاميرية ـ القاهرة ١٩٧٣ ٠
١٩ ـ حافظ ابراهيم الشاعر والسياسى : روفائيل مسيحة
ط ١ ـ مطبعة الاعتماد بمصر ـ ١٩٤٧ ٠
٢٠ ـ حافظ ابراهيم شاعـر القومية العربيـة : محمـد هـارون الحلـو
المؤسسة المصرية العامة للنشر والكتاب ٠
٢١ ـ حـافظ ابراهيـم شاعـر النيـل : عبـد الحميـد سنـد الجنـدى
ط ٣ ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨١ ٠
٢٢ ـ حافظ ابراهيم : مالـه وما عليه : د٠ كامل جمعه
مكتبة القاهرة الحديثة ـ القاهرة ـ ١٩٦٠ ٠

٢٣ ـ حياة حافظ ابراهيم : أحمد محفوظ
مطابع الناشر العربى ـ القاهرة (د٠ث) ٠
٢٤ ـ دراسات أدبية : د٠ أحمد هيكل
ط ١ ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨٠ ٠
٢٥ ـ دراسات فى الشعر العربى المعاصر : د٠ شوقى ضيف
ط ٤ ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٦٩ ٠
٢٦ ـ الدين والاخلاق فى شعر شوقى :على النجدى ناصف
ط٢ ـ مكتبة نهضة مصر ـ الفجالة ـ القاهرة ١٩٦٤
٢٧ ـ الدولة العثمانية والشرق العربى : د٠ محمد أنيس
مكتبة الانجلو ـ القاهرة ـ (د٠ث) ٠
٢٨ ـ الديوان ـ عباس محمود العقاد ـ ابراهيم عبد القادر المازنى
ط٣ ـ دار الشعب ـ القاهرة ـ (د٠ث) ٠
٢٩ ـ ديوان أبى الطيب المتنبى : المتنبى أحمد بن الحسين بن حسن المتنبى
صححها وقارن نسخها وجمع تعليقاتها : عبد الوهاب عزام ـ دار الزهراء ـ بيروت ـ ١٩٧٨ ٠
٣٠ ـ ديوان اسماعيل صبرى : تصحيح وضبط : أحمد الزين
مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ـ القاهر ١٩٣٨ ٠
٣١ ـ ديوان حافظ ابراهيم : حافظ ابراهيم
ج ١ ، ٢ ضبطه وصححه : أحمد أمين
أحمد الزين ـ ابراهيم الابيارى
دار العودة للصحافة والطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان (د٠ث) ٠

٣٢ ـ ديوان عمر بـن أبى ربيعـة
اللبنانية للكتاب ـ بيروت ـ ١٩٦٨ ٠
٣٣ ـ ذكرى الشاعرين : شاعر النيل وأمير الشعراء
جمـع وترتيب : أحمـد عبيـد
مطبعة الترقى ـ دمشق ـ ١٣٥١هـ ٠
٣٤ ـ ذكرى حافظ (شرح القصيدة العمرية) : مصطفى الدمياطى بـك
ط ١ ـ مطبعة السعادة ـ القاهرة ـ ١٩٣٣ ٠
٣٥ ـ زعماء الاصلاح فى العصر الحديث : أحمـد أمين
مكتبة النهضة المصرية ـ القاهرة ـ ١٩٤٩ ٠
٣٦ ـ شاعر الشعب : د٠ سامى الدهان
اقرأ ١٢٠ ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٥٣ ٠
٣٧ ـ شاعر العروبة والاسلام : أحمـد محرم
ط ١ ـ مطبعة دار العروبة ـ القاهرة ـ ١٩٦١ ٠
٣٨ ـ شرح المعلقات السبـع للزوزنى : أبـو عبـد الله الحسين بـن أحمـد بـن الحسين
دار نشر الكتب الاسلامية ـ لاهور باكستان (د٠ث)
٣٩ ـ الشعراء الثلاثة : شوقى ـ مطران ـ حافظ
تصنيف : حسـن السندوبى
ط١ ـ مطبعة الكتب التجارية ـ القاهرة ١٩٢٢ ٠
٤٠ ـ شعراء مصـر وبيئاتهم فى الجيل الماضى : عباس العقـاد
مطبعة نهضة مصر ـ الفجالة ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ ٠
٤١ ـ شعر شوقى الغنائى والمسرحى : د٠ طه وادى
ط ٢ ـ دار المعارف ـ ١٩٨١ ٠
٤٢ ـ الشوقيات : أحمـد شوقى
دار الكتاب العربى ـ بيروت ـ (د٠ث)

٤٣ ـ شوقى شاعر العصر الحديث : د٠ شوقى ضيف
ط٨ ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٨٢ ٠
٤٤ ـ شوقى : شعره الاسلامى : د٠ ماهر حسن فهمى
ط٢ ـ دار المعارف ـ القاهرة
٤٥ ـ شوقى وحافظ : طاهر الطناحى
دار الهلال ـ القاهرة ـ ١٩٦٧ ٠
٤٦ ـ شوقى وحافظ : عبد السميع المصرى
دار الفكر الحديث للطبع والنشر ـ القاهرة (د٠ث)
٤٧ ـ الشيخ محمد عبده امام المجددين فى الاسلام : عبد الجواد سليمان
مطبعة مخيمر ـ القاهرة (د٠ث) ٠
٤٨ ـ الصورة الشعرية : سيسل دى لويس
ترجمة : د٠ أحمد نصيف الجنابى وآخرين
من منشورات وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد ١٩٨٢
٤٩ ـ العقد الفريد : لابن عبد ربه (أبو عمر أحمد بن محمد الاندلسى)
شرح وضبط وترتيب : أحمد أمين ـ أحمد الزين ابراهيم الابيارى
الجزء الرابع ـ مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ١٩٤٤ ٠
٥٠ ـ على هامش الادب والنقد : على أدهم
دار المعارف ـ القاهرة ـ ١٩٧٩ ٠
٥١ ـ فى أصول الادب : أحمد أمين
ط٣ ـ مطبعة الرسالة ـ القاهرة ـ ١٩٥٢ ٠
٥٢ ـ فى الادب الحديث : عمر الدسوقى
ج١ ـ ط ٢ ـ مطبعة لجنة البيان العربى ـ القاهرة ١٩٥١ ٠

٥٣ ـ فى ظلال القرآن : سيـد قطب
المجلد الخامس ـ ط٧ ـ دار احياء التراث العربى
بيروت ـ لبنان ـ ١٩٧١ ٠
٥٤ ـ قاسم أميـن : د٠ ماهر حسن فهمى
مطبعة التربية والتعليـم ١٩٦٤ ٠
٥٥ ـ قصص الانبياء : عبد الوهاب النجار
ط٣ ـ مطبعة مصر ـ القاهرة ـ ١٩٥٣ ٠
٥٦ ـ القضايا الكبرى فى الاسلام : عبد المتعال الصعيدى
مكتبة الاداب بالجماميز ـ القاهرة ـ (د٠ث)
٥٧ ـ قضايـا معاصرة فى الادب والنقـد : د٠ محمـد غنيمى هـلال
دار نهضة مصر للطبع والنشر ـ القاهرة (د٠ث)
٥٨ ـ لزوم ما لا يلزم (اللزوميات) : أبو العلاء المعرى
المجلد الثانى ـ دار صادر ـ بيروت ـ (د٠ث)
٥٩ ـ محاضرات عـن حافظ ابراهيم حياتـه وشعره : أحمـد طاهـر
معهـد الدراسات العربية ١٩٥٣ ـ ١٩٥٤ ٠
٦٠ ـ محمد عبده : عباس محمود العقاد
مطابع دار القلـم ـ ١٩٦٣ ٠
٦١ ـ محمد فى الادب المعاصر : النثر : فاروق خورشيد
الشعر : أحمـد كمـال زكى
ط١ ـ المكتب الفنى للنشر ـ القاهرة ـ ١٩٥٦ ٠
٦٢ ـ المرأة الجديدة : قاسـم أميـن
مطبعة الشعب ـ القاهرة ـ ١٩١١ ٠
٦٣ ـ مقدمة ابن خلدون : (ابن خلدون) عبد الرحمن بـن محمد خلدون الخضرى
دار الشعب ـ القاهرة ـ (د٠ث) ٠

٦٤ ـ مقدمة ديوان حافظ ابراهيم ـ
أحمـد أميــن

٦٥ ـ مهرجان خليل مطران
المجلس الاعلى للفنون والاداب ـ القاهرة ١٩٥٩ ٠

٦٦ ـ الموسوعة العربية الميسرة
جماعة من كبار المؤلفين والمفكرين العرب

٦٧ ـ نظام الحكومة النبوية المسمى «التراتيب الادارية»
ج٢ للشيخ عبد الحى الكتابى
بيروت ـ (د٠ث) ٠

الدوريـــــات

١ ـ أبولـو يوليو ١٩٣٣ .

٢ ـ الرسالة (القاهرية) .

٣ ـ فصول : (شوقى وحافظ : الجزء الاول) المجلـد الثالث : العدد الاول . (أكتوبر / نوفمبر / ديسمبر ١٩٨٢) مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة

٤ ـ فصول : (شوقى وحافظ : الجزء اثانى) المجلـد الثالث : العـدد الثانى . (يناير / فبراير / مارس ١٩٨٣) مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب . القاهرة .

٥ ـ الكتـاب .

٦ ـ مجلة المجمع العلمى العربى (دمشق) الجزء الثالث المجلـد ٣١ .

٧ ـ مجلة المجمع العلمى العربى (دمشق) الجزء الرابع المجلـد ٣١ .

رقم الايداع : ٢٩٧٠ / ٨٧
رقم دولى : ٥ / ٩٥ / ١٤٣٠ / ٩٧٧

صوت الإسلام فى شعر حافظ إبراهيم

تصويب الأخطاء

الصفحة	السطر	الخطـأ	الصـواب
٣	٢٠	ملاء	ملأ
٨	٦	يغركم	يغرقهم
١١	١٤	لأياته	لآياته
١٣	٦	أبى	ابن
١٣	هامش	وانظ	وانظر
١٣	هامش	سخير	تسخير
١٧	٦	بيت الشعر مكتوب كالنثر	فخذوا المواثق والعهود على هدى التوراة والإنجيل والقرآن
	٣	مراتبة	مراتبه
	٧	عدو لهم	عُدُولَهم
٢٣	٦	وأعادة	وأعادت
	١٢	فى حين	حين
	هامش ١٨	الشبيهة	الشبهية
		وقد	قد
		بيد	بين
	٩	لالئا	لآلئا
	١١	سوده	سواده
٢٥	٢	سبيل الإلماع	سبيل الإلماح
٣٢	هامش ٢١	هانونو	هانوتو
		منتصر العقيدة	منتصرا لعقيدة

٣٢		هانونو	هانوتو
	في الحاشية	وهمو	وهموا
		كا هم	كا وهم
		الإمام وكذلك	الإمام رد كذلك
٣٣	٨	مرحه	مدحه
	٩	تغنينا	تغنها
	١٠	البيت)	البيت
	١١	عبارات	وعبارات
٣٤	١	حاضرا	حاضر
	١	مسيف	مسعف
	٤	بتسيهلات	مبتهلات
	١٤	أحدا	أحد
٣٦	١	ضرجوا	ضرحوا
	٨	وتخوص	وتخوض
٤٢	٦	والغدوان	والغدران
٤٣	١	مصر	ومصر
		سماح	سحاح
٤٦	٢	ولسعد	وللسعد
	٨	المذى	الهندى
	٩	ليتواقعون	يتواقعون
٤٩	٦	مزيجة	مزيجا
	٩	صبغت	وصبغت
٥٠		السابنف	السابق
٥٤	٩	محاسبة	تحاسبه
	١٠	فعاتبه	تعاتبه

٥٥	١١	تهنئ	لتهنىء
	١٤	تقض	تفض
	١٨	فماذا	فماذا
	١٨	تفسر	يفسر
٥٦	٨	وبأفضل	وبأفضال
	١٢	العليا	العلية
٥٧	٥	تفور	نفور
	٥	وتثور	وثور
	١٤	لحافظ	حافظ
٦٣	١	شوق	حافظ
٦٦	١٠	لعظيم	العظيم
٦٧	٩	براعته	يراعته
٧٠	٩	يرى أحق	يرى أنه أحق
	١٩	تواؤه	ثواؤه
٧١	هامش ١٧	سحرية	سخرية
		يزدى	يزرى
٧٤	١٨	بالقياس	بالمقياس
٧٥	٧	ينكر	ينكروا
	٩	شحيما	شحيحا
٧٨	١	يطاق	نطاق
	٨	تخفه	تخفه
	١١	المنشودة	المنشود
٨٤	هامش ٥١	من قصة	من خمسين قصة
٨٥	٩	قريب	قريبا
٨٦	٣	وصر	وقصر

٩٢	١٠	هذا	وهذا
٩٣	١٦	الانتفاء	الانتقاء
	٢٣	والقطات	واللقطات
٩٤		ترتيب سطور هامش رقم ٦٩	يوضع السطر قبل الأخير مكان السطر الأخير
٩٧	٣	تهلم	تهدم
	٤	حرث	جرت
	١٤	أقل	أقول
١٠١	٥	خربة	ضربة
١٠٢	١٣	أربيت	أربت
	٣	عساق	عتاق
١٠٧	٦	تسمينه	تسميته
١٠٨	٣	العيار	المعيار
	٢١	باسنا	بإسناد
١١٠	١٤	يستوف القصيدة	يستوف فى القصيدة
١١١	١	تقربريا	تقريريا
	٨	المصممة	المصمية
	١٢	بسرتك	بسدتك
	١٦	وأفكار	وأفكارا
١١٢	٤	وأخير	وأخير
	١١	عبارة	عبرت
	١٢	لأنها	إلا أنها
١١٣	٥	للواقائع	للوقائع
	١٣	ألمعة	لمعة
١١٤	٣	لواقع	للواقع

١١٤	١٢	بنابته	بنابتة
١١٥	٥	جدتم	جددتم
	٨	لمجد	للمجد
١١٦	٨	المصريون	المصريين
	١٤	الهزيمة	الهمزية
	١٥	إلقاء	إلغاء
١١٨	٢	والطلع	والمطلع
	٧	الاولين	الأولين
	٥	منه	منة
	٦	رأت	رأيت
	١٠	د روس	دروس
	١١	خاليا	خالية
١٢١	١	وقضايا	« قضايا
	٤	الفن	الفن »
	٨	الأولى	أولى
	٩	من أضس وأضعف	به أضن وأشغف
	١٩	ومن	وسنّ
١٢٢	٢	ذلك	ذاك
	٢	مثلا	مثالا
	٨	العور	النور
	١٣	مغالة	مقالة
١٢٣	٢	الفاعلية	الفاعلة
	١٩	اناره	أثارة
١٢٧	١٠	بكون	يكون
	١٣	الحباة	الحياة

١٢٨	٢٠	قصدن	قصدنا
١٢٩	هامش ٢	بكتابية	بكتابيه
		المشهرين	المشهورين
١٣١	٤	راؤة	آراؤة
	٨	(١٢) شـ	(١٢)
	١٠	بنقد	ينقد
	١٣	« والجليس	و « الجليس
	١٨	لاراء	لآراء
١٣٢	٤	الشيبى	الشبيبى
	١٩	أسدلوا	أدلوا
١٣٣	٢	حافظ	بحافظ
	٩	لا ستقامت	لاستقامت
	١٠	محباها	محياها
١٣٤	٥	بيننا	بينا
١٣٥	١٥	الافصان	الأغصان
	١٧	أوانا	أوانساً
١٣٨	٩	ينقضى	ينقض
١٣٩	٣	السفور	للسفور
	٦	لجانحين	للجانحين
	١١	وردثك	وردنك
١٤٠	٥	بصيرة	بصبره
١٤١	١٧	تقريره	تقريرى
	١٧	سبلى	شبلى
١٤٢	٦	مستبرايرنع هتك الحجاب	طواها مسبب الأسباب
١٤٣	٨	السجد	السجود

١٤٦	١٧	تحيلين	قليلين
١٤٧	١٧	النقيص	النقيض
١٤٨	١١	الكفائة	الكفاءة
١٤٩	١٦	وسلبيه	وسلبية
	٢٠	نقيضة	نقيصة
١٥٠	١	الكفاءة فى مسألة	الكفاءة مسألة
١٥٢	٨	لشعوره	شعوره
	١٠	ومسغيه	ومسغبة
١٥٣	٨	يدعون شقاق	يدعون صنو شقاق
١٥٥	٥	توفير	توقير
	٩	المواثيق	المواثق
١٥٧	٥	جماع	جماح
١٥٨	٧	مساجدا	مساجد
	١٩	ويجر منكم	ولا يجرمنكم
١٥٩	١	الذين يقاتلوكم	الذين لم يقاتلوكم
	٢	عن	من
	١٧	أثرا	أثر
١٦٣	٩	الأسعار	الأشعار
١٦٤	١	فايتها	غايتها
١٦٧	١٢	الافلين	الآفلين
١٦٨	٣	الا فلين	الآفلين
	١٥	وشيها	وشهبا
	١٦	الان	الآن
١٦٩	٤	باليال	بالبال
١٧٠	٦	معشوقة	معشوقه

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٧٠	١١	بلقيسى	بلقيس
١٧٣	٥	برهان من ربه	برهان ربه
١٧٥	٧	أحيت	أحييت
١٧٦	٨	فابلغى	فابلعى
١٧٧	٤	فبشر	فبشرنى
	هامش ٤٩	وسبق	وسيق
	٢	براعته	يراعته
١٨٣	٩	وطابته القرانية	وطلبته القرآنية
١٨٤	١٤	يملاء	يملأ